


# ثم يأتي المُنتَهى

د. ماهر صموئيل

# ثم يأتي المنتهى

## من كلمات المسيح في متى ٢٤

د. ماهر صموئيل

الطبعة الأولى

# ثم يأتي المنتهى


المؤلف : د ماهر صموئيل

تقديم : يوسف رياض

تصميم الغلاف : مورنينج ستار ٦:٣١٥١٠

جمع بالكمبيوتر : ماريان أمين

إخراج فني : عصام خليل

يُطلب من : مكتبة الإخوة ٣ش أنجه هانم - شبرا مصر ت: ٥٧٩٢٢٨٤

بريد إلكتروني: brethren_pub@writeme.com

وفروعها: مصر الجديدة : ٦٥ش نخلة المطيعي تريومف ت: ٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية : ٦ش الفسطاط كليوباترا

المنيا : ٦ش الجيش ت:٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ش عبدالخالق ثروت ت: ٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

في الولايات المتحدة وكندا ت: 8419 545 (248)

طبع بمطبعة السلام للطباعة

رقم الإيداع. ٢٠٠١/٢٧٨٥

الترقيم الدولي: ISBN 977-321-035-9

# تمهيد

ظهرت مادة هذا الكتاب في صورتها البدائية على هيئة عدة مقالات نُشرت في رسالة الشباب المسيحي، في الفترة ما بين نهاية ١٩٩٨ وبداية ٢٠٠٠. و كنت فيها أنقل للقارئ المسيحي، على قدر استطاعتي، قراءتي للإحداث العالمية الكبرى المعاصرة والخطيرة، وعلاقتها بقرب مجيء المسيح. وقد اعتمدت في قراءتي لها على نور مصباح جميل، تعودت من سنين طويلة على ألا أستطلع حقيقة أي شيء إلا في نوره، وفي الحقيقة لم يخذلني هذا المصباح قط، بل في كل مرة لجأت إليه كشف لي من الغوامض ما أذهلني، وأوضح لي من السرائر ما بهرني، ولذا لم أعد أثق إلا فيه؛ هذا هو مصباح النبوة الجميل، النبوة كما سجلها كتاب الحق: الكتاب المقدس.

عن هذا المصباح كتب الرسول بطرس قائلاً: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم» (٢بطرس١:١٩). ولقد كشف لنا هذا المصباح عن علاقة قوية بين هذه الأحداث المعاصرة ومجيء المسيح الثاني.

واستكمالاً للفائدة تم جمع هذه المقالات معاً، بعد إجراء تغييرات جذرية في بعضها، وتغييرات طفيفة في بعضها الآخر، فنتج هذا الكتاب.

وإذ يسعدني وصول هذا الكتاب لك عزيزي القارئ، فإني أصلي إلى الله

أن يحقق غايتي من وصوله لك، وهي أن تتأكد من حقيقتين هامتين لهما علاقة شديدة للغاية بحياتك الحاضرة وأيضاً بمستقبلك الأبدي، وهما:

أولاً: أن الكتاب المقدس بعهديه هو كلمة الله نفسها، والموحى بها منه شخصياً لعبيده الأنبياء، فلا يوجد دليل على أن مصدر هذا الكتاب هو الله أقوى من تحقق نبواته.

وفى هذا الكتاب البسيط الذي بين يديك، سترى كيف أن بعض نبوات الكتاب المقدس، والتي كُتبت من أكثر من ألفي عام مضت، تتم في أيامنا المعاصرة بكل دقة وروعة. بل إن الكثير من الأحداث المعاصرة في القرن الواحد والعشرين لا تُفهم صحيح الفهم إلا في نورها.

ثانياً: أن مجيء المسيح الثاني حقيقة أكيدة، حتماً ستتم سواء صدَّق الناس هذا أم لا، وأن هذا المجيء قد اقترب جداً، سواء أدرك الناس هذا أم لا، إلا أنه، قبيل مجيئه، كان من المحتم أن يتهيأ المسرح العالمي لهذا المجيء ببعض الأشخاص، وببعض الأحداث طبقاً لما سبق وأنبأ به الكتاب.

وفي هذا الكتاب البسيط الذي بين يديك، ستجد بعض البراهين التي تؤكد أن المسرح قد تهيأ فعلاً. ولقد سبقني كثيرون من الكتاب الأفاضل في هذا المجال، إذ قدموا العديد من الكتب وبلغات مختلفة، تتناول كلها الأحداث الهامة التي يُعتبَر حدوثها علامات أكيدة على قرب مجيء المسيح، ولذلك لم أتطرق إلى كل الأحداث، لكنني انتقيت منها ثمانية فقط، برزت جميعها في العقد الأخير من القرن العشرين، وأوضحت علاقتها بقرب مجيء المسيح.

وأخيراً إني أرجو الرب من كل قلبي أن يستخدم هذا المجهود المتواضع

ليقودك أيها القارئ العزيز إلى مزيد من الحب والاحترام لكلمة الله المكتوبـة، وإلى علاقة شخصية مع الكلمة المتجسد ربنا يسوع المسيح، ذلـك لأن هـذا هو الطريق الوحيد ليكون لك نصيب في الخلاص العظيم، الخـلاص الـذي صنعه من ألفي عام عندما مات لأجلك على الصليب، والذي سيتممه بمجيئـه عن قريب.

**ماهر صموئيل**

**يناير ٢٠٠١**

# محتويات الكتاب



---

الباب الأول:

## اليورو

### شفاء الجرح المميت وعودة الروح للإمبراطورية الرومانية القديمة



---

الباب الثاني:

## العولمة:

### الخلفية المناسبة لظهور الوحش والنبي الكذاب، والبيئة المناسبة لمبتدإ الأوجاع

---

## الباب الثالث:

# الصين:

## معجزة القرن الواحد والعشرين



---

## الباب الرابع:

# الزلازل:

## إتمام صريح لنبوة المسيح



---

## الباب الخامس:

# السَفر:

## وجنون الطوفان في الأرض

الباب السادس:

# المعرفة:

## العلم والمعرفة، ثورتا القرن العشرين



الباب السابع:

# الاستنساخ:

## التمرد الأخير واليوم الأخير



# الخاتمة

# تقديم

من قديم الزمان والإنسان يحاول بشغف أن يعرف: بماذا يأتي الغد، وما الذي يخبئه لنا المستقبل. أما نحن المؤمنين فنمتلك إعلان الله الكامل، الكتاب المقدس، الذي يسميه الرسول بطرس «الكلمة النبوية»، والتي يقول عنها إننا نفعل حسناً إن انتبهنا إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم (٢بطرس١: ١٩).

نعم الكتاب المقدس هو الكلمة النبوية. ونحو ثلث الكتاب المقدس نبوات. وهو كتاب صادق تماماً، وكذلك نبواته، لأن مصدره الله الصادق. والكثير من تلك النبوات تم في الماضي بدقة مذهلة، والبعض منها يتم اليوم أمام عيوننا، والجزء الباقي لا بد أن يتم عن قريب، ونحن نشاهد التمهيد لتحقيقه. وهذا الجزء الأخير هو ما انشغل به الكاتب في هذا الكتاب.

يؤسفنا أن نرى بعضاً من أحبائنا المؤمنين يهملون دراسة النبوة. والكثير من المسيحيين لا يعنيهم ذلك الأمر على الإطلاق، وهم في جهل تام بخصوصه. وهذا حتماً لخسارة الفريق الأول ودمار الثاني. والمسيح في مجيئه الأول، عندما كانت علامات مجيئه واضحة كل الوضوح أمام أعين اليهود، ومع ذلك كانوا لاهين ومنصرفين عنها، وبخهم على ذلك قائلاً: «يا مراؤون، تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء، وأما هذا الزمان فكيف لا

تميزونه؟» (لوقا١٢: ٥٦). وللأسف فإن هذا يتكرر مرة ثانية في هذه الأيام.

يدور هذا الكتاب الذي بين يديك حول هذه التساؤلات الجادة: هل نحن الجيل الأخير الذي يسبق مجيء الرب؟ وهل تلك المشاكل العالمية التي تجمعت اليوم ولا يجد ساسة العالم لها حلاً، وهل التقدم العلمي المذهل الذي شاهدناه في السنوات الأخيرة، وهل حالة الانحطاط الخلقي والارتداد الروحي، هل لهذا كله علاقة بمجيء المسيح؟ وعن هذه الأسئلة كلها ستجد الإجابة واضحة في هذا الكتاب.

ومع أن كتباً كثيرة كتبت في هذا الموضوع، لكن هذا الكتاب ليس تكراراً لما سبقه، ولا هو منقول عن آخرين، بل قد جاء نتيجة فحص جاد، واستقصاء صبور. والأخ الحبيب الدكتور ماهر، وهو «كاتب متعلم في ملكوت السماوات .. يخرج من كنزه (دائماً) جدداً وعتقاء»، لم يكتب لنا هذه المرة شرحاً كتابياً، ولا كتاباً تأملياً تعبدياً، بل إني أعتبره كتاباً للمفكرين. وكما عبَّر الكاتب، فإنه نظر إلى كل ما يحدث حولنا، من منظور دارسٍ للكتاب المقدس، فرأى أن الأحداث تصرخ في وجوهنا: استعدوا! ها هو قادم.

ومعرفة هذه الحقيقة المؤكدة تحمل بركة لكل من المؤمن والخاطئ على السواء: فيا للتعزية التي تملأ قلب المؤمن عندما يسمع من يقول له: «هوذا إلهك.. هوذا يأتي»، فيقول بدوره: «صوت حبيبي هوذا آتٍ، طافراً على الجبال قافزاً على التلال». وبالنسبة لمن لم يتصالح مع الرب بعد، هذا الكتاب هو صوت إنذار ليتدبر الأمر. فهل من المنطقي أن ننشغل بأمور الزمان، وهي وقتية، وننسى الأبدية؟! ثم أليست حماقة أن ننجذب إلى شيء، إن كان هذا الشيء على وشك الاضمحلال والفناء؟!

ومع كثرة ما سينقلنا الكاتب إليه من مشاهد مختلفة في هذا الكتاب، ليست العيون لا تنشغل بالأحداث فحسب. فالرجاء المسيحي ليس أحداثاً، بل، بلغة أحدهم، هو شخصٌ وشخصي. نعم الرجاء المسيحي هو شخص المسيح نفسه آتياً لأخذ كنيسته إليه. فهو ليس بحصر اللفظ مجيء المسيح، بل المسيح آتياً. ثم إنه رجاء شخصي إذ سيميز بين شخص وآخر! لهذا فإن أمنيتي وصلاتي أن من يقرأ هذا الكتاب يزداد يقيناً بأن مجيء الرب قد اقترب، فيستعد بشوق ولهفة لهذا المجيء المرتقب.

**يوسف رياض**

# مقدمة

قال المسيح في صلاته للآب لأجلنا: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم»، لكنه قال أيضاً في نفس الصلاة: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم» (يوحنا١٧: ١٤،١٥).

فنحن طبقاً لكلام سيدنا:

لسنا من هذا العالم.. هذا نوع جنسيتنا

نقيم في هذا العالم.. هذا محل إقامتنا

وعليه فنحن لا نعيش في بيئتنا الطبيعية، بل كما قال عنا الكتاب غرباء ونزلاء:

غرباء، لاختلاف جنسنا عمن حولنا.

ونزلاء، لأنه لن تطول فترة إقامتنا في غربتنا.

ولا ينكر واحد من شعب الله المتغرب أن الغربة أعيتنا، والسفر أضنانا، وصرنا نصرخ:

يا خالقَ المَلا — يا ساكنَ العُلا

مَتَى التقَابُلُ — يا صادقَ الوعودْ

فلَسْنا مِنْ هُنا — ليسَ لنا هَنَا

نحنُ المُزْدَرَى — ليسَ لنا وجودْ

| | |
|---|---|
| غُرباءُ في الدِّيـــارْ | ونَحيــا باسْـــتِتَارْ |
| ليسَ لَنا اشـــتهارْ | ليسَ لَنا ارتيـــاحْ |
| ها نحنُ بانتظــــارْ | الليــلَ والنـــهارْ |
| نَرْجــو قُدومَـــكَ | يا كَوكَبَ الصبــاحْ |

وكواحد من هؤلاء المتغربين المتألمين، عملت كما يعمل المسافر الـــذي ملَّ السفر وأضناه طول الطريق؛ فإذ به يلصق وجهه بنافذة القطار، ويحملــق في ما حوله متلهفاً لاستطلاع أي علامة تنبئه باقتراب محط الرحيل. هكـــذا فَعَلتُ، فنتج هذا الكتاب دون قصد أو تخطيط.

ففي أثناء سفري في هذا العالم مع إخوتي المتغربين، وجدت أهـــل العـــالم من حولنا يكثرون الحديث، حتى صـــار فـــي الآذان كـــالطنين، عـــن الوحـــدة الأوروبية، تلك المعجزة العظيمة؛ كيف توحدت أوروبـــا بعـــد طـــول تمـــزق وصراع، وبعد حربين ضاريتين مزقتا جسدها تمزيقاً، وعن عملتـــها الجديـــدة: اليورو. فقرأت وبحثت واستقرأت التاريخ، فرأيت أن هذه الوحدة مـــا هـــي إلا شفاءٌ للجرح الذي جُرِحت به الإمبراطورية الرومانية القديمة في عـــام ٤٧٦م، والتي ظلت حوالي ١٥٠٠ عام كأنها مذبوحة للموت تصارعه، لكنها لم تمـــت أبداً؛ وهي تعود الآن للحياة لتلعب أهـــم الأدوار السياســـية فـــي الأرض قبيـــل مجيء المسيح، بل وهي التي ستحارب المسيح عند ظهوره بالمجد والقوة.

ومرة أخرى، وجدتهم يمطروننا بوابل من المقالات والكتب في كل مكـــان اتجهنا إليه عن شيء جديد اسمه "العولمة"؛ فقررت أيضاً أن أقرأ، وحـــاولت أن أفهم، وكانت النتيجة أنني تيقنت أن هذه العولمـــة مـــا هـــي إلا الخلفيـــة اللازمة، بل وحتمية الوجود، لظهور الوحش والنبي الكذاب، والبيئة المناســـبة لمبتدإ الأوجاع.

ومرة أخرى، أحاطونا بكلام كثير عن الصين، وأنها معجزة القرن الواحد والعشرين؛ فقلت: وما المانع أن أقرأ وأحاول أيضاً أن أفهم. فوجدت أن الصين هذه ما هي إلا إحدى القوى الواجب وجودها في موقعة هرمجدون المرعبة.

وعندما تلاحقت الزلازل في صيف ١٩٩٩، أكثروا من التعليقات والمقالات عن هذا الحدث المرعب، والذي قال عنه واحد: "سعيد هو الإنسان الذي تنتهي حياته دون تجربة زلزال"؛ فوجدت أنها إتماماً رائعاً لنبوة المسيح عن حالة الأرض قبيل ظهوره.

وحيثما سافرت للخدمة، كان يلفت نظري بشدة، بل ويذهلني، ازدحام الطائرات، وتكدس أكوام البشر في المطارات؛ فقلت لعل لهذا علاقة بمجيء المسيح. وعندما قرأت وبحثت، وجدت فعلاً أنه ما هذا الجنون في السفر إلا إتماماً صريحاً لنبوة صغيرة في سفر دانيآل عن وقت المنتهى.

وبمناسبة انتهاء القرن العشرين، أغرقونا في الحديث عن كثرة اختراعاته وعظمة ثوراته العلمية، وتساءلت في نفسي قائلاً: "إنه شيء مذهل فعلاً حدوث كل هذا التطور في مائة سنة بعد ٥٩٠٠ سنة من النوم العميق، ألعلها الصحوة التي تسبق النهاية؟" وعندما قرأت وبحثت، وجدت فعلاً أنه إتمام لكلام الله عن وقت المنتهى، كما جاء في نبوة دانيآل.

وعندما كثر الحديث عن الإنترنت، وأهمية وجودها لكل بيت، وعن إمكانياتها المذهلة، قرأت عنها لأعرف شيئاً عن كنهها؛ فوجدت أن أحداثاً جساماً في سفر الرؤيا لا يمكن أن تتم بدونها.

وأخيراً، فاجئونا بكارثة "الاستنساخ"؛ فاضطررت مرغماً أن أقرأ

وحاولت مجبراً أن أفهم، واستنتجت بعدها أنه لابد أن يكون هذا هو التمرد الأخير، والذي حتماً سيعقبه قضاء اليوم الأخير.

ولم يفتني، وأنا أكتب عن الزلازل، أن أكتب شيئاً يسيراً عن هذه الكرة الكبيرة – ألا وهي الكرة الأرضية – لأظهر شيئاً من عظمة خالقي وفاديَّ عندما عمل شيئاً كبيراً. كذلك، لم يفتني، وأنا أكتب عن الاستنساخ، أن أكتب شيئاً يسيراً عن هذه الكرة الصغيرة – ألا وهي الخلية – لإظهار شيئاً من عظمة خالقي وفاديَّ عندما عمل شيئاً صغيراً.

فهو عظيم بلا حدود عندما يصنع الكبير

وهو عظيم بلا حدود عندما يتقن الصغير

وأخيراً، وضعت القلم منهكاً، وتنهدت متعباً، من كثرة ما قرأت، لكنني أيضاً تنفست الصعداء مبتهجاً؛ فلا حاجة لي، بعد كل ما رأيت، أن أعود لألصق وجهي بنافذة القطار، لكنني سأفعل شيئاً واحداً: سأنسى القطار بمن فيه، ولن أنظر تحتي ولا حولي؛ فلم تعد لي حاجة لمزيد من العلامات، لكنني سأرفع رأسي ويدي وأهتف من أعماقي: «آمين تعال أيها الرب يسوع».




# اليورو

## شفاء الجرح المميت وعودة الروح للإمبراطورية الرومانية القديمة

# الفصل الأول

# اليورو وتاريخ الإمبراطورية

«فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف... وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً» (رؤيا ١٣: ١، ٢).

**حدث خطير يعني الكثير:**

شهد العالم في يناير ١٩٩٩ ميلاد عملة جديدة، هي اليورو، ليكون هو العملة الرسمية الوحيدة لأوروبا الموحَّدة، على أن يتم طرحه لتداول رجل الشارع في يناير ٢٠٠٢. وربما لا يعني هذا الحدث للإنسان العادي أكثر من مجرد عملة تُضاف لبقية العملات الموجودة في العالم، إلا أن المحللين الاقتصاديين والسياسيين يعطون له أهمية شديدة، وينتظرونه بحيطة وحذر، وبتوجس الذي لا يعلم إلى أين المصير؛ ذلك لما سيكون لهذا الحدث من آثار وتوابع قد تشمل العالم كله على صعيديه: الاقتصادي والسياسي.

أما بالنسبة لنا نحن أولاد الله المتغربين في هذا العالم، فهذا الحدث يعني الكثير، بل والكثير جداً؛ فهو من جهة يؤكد لنا صدق كل كلمة من نبوة الكتاب

المقدس، ومن جهة أخرى يملأ قلوبنا فرحاً إذ نزداد اقتناعاً بقرب مجيء الرب.

## ماذا يعني اليورو؟

أن تصل دول أوروبا في داخل الاتحاد الأوروبي لاتفاق واتحاد سياسي كامل، ثم اتحاد جغرافي بحيث تُلغى الحدود تماماً بين دول الاتحاد، ثم اتحاد كامل بين المؤسسات الاقتصادية الضخمة، وأن يصلوا إلى بنك واحد هو البنك المركزي الأوروبي، وبرلمان واحد هو البرلمان الأوروبي، وأخيراً تصل الوحدة إلى رجل الشارع، فيتداول جميع أفراد الشعب عملة واحدة؛ هذا يعني وصول الوحدة إلى مستوى غير مسبوق في تاريخ البشرية، ويعني ظهور إمبراطورية جديدة تفوق في إمكانياتها الاقتصادية وثقلها السياسي والعسكري أي دولة في العالم المعاصر أو إمبراطورية في تاريخ البشرية السابق.

## ماذا يعنينا أن تظهر في أوروبا إمبراطورية جديدة؟

في الحقيقة يعني لنا الكثير جداً جداً.

فمنذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، في القرن السادس قبل الميلاد، كانت إسرائيل كمملكة قد انتهت عندما سحقها نبوخذ نصر ملك بابل (العراق الآن) وسبى أهلها، وتضخمت المملكة البابلية تحت زعامته حتى صارت إمبراطورية ضخمة حكمت أجزاء كثيرة من العالم القديم.

في ذلك الوقت، كان هناك شاب تقي، هو دانيآل النبي، أحب الرب من كل قلبه، وأحبه الرب جداً فكشف له بصورة معجزية التاريخ السياسي للعالم؛ من وقته وحتى مجيء المسيح الثاني، الذي فيه سيقيم مملكته التي لن تنقرض.

والتاريخ السياسي للبشرية منذ القرن السادس ق.م. وحتى مجيء المسيح يتلخص في أربع نقاط (دانيال٢: ٣٢-٤٥؛ ٧: ٣-١٢، ١٩-٢٨):

أولاً: أن المملكة البابلية ستسود سيادة دكتاتورية مطلقة، وتستمر حاكمة، حتى تسقط بيد مملكة ثانية مكوّنة من اتحاد بين مادي وفارس.

ثانياً: تسود المملكة الفارسية على مساحة أكبر من العالم، ولمدة أطول، إلا أنها في النهاية تسقط بيد ملك من اليونان (دانيآل٨: ٢١) هو الإسكندر الأكبر كما نعلم من التاريخ.

ثالثاً: يسود الإسكندر بسرعة، وتتكون إمبراطوريته اليونانية في سنوات قليلة، وتسود على معظم بلدان العالم القديم. إلا أنه ينكسر سريعاً أيضاً، ويقتسم إمبراطوريته الواسعة أربعة ملوك (دانيآل٨: ٢٢) إلا أنهم ليسوا في قوته.

رابعاً: أخر الكل تقوم إمبراطورية رابعة تتميز بالآتي:

١- مخالفة لكل ما سبقها، وأقوى من كل ما سبقها؛ وهي كما نعلم من الكتاب ومن التاريخ: الإمبراطورية الرومانية.

٢- في بدايتها يُشار إليها بساقين من حديد، إشارة إلى أنها شرقية وغربية.

٣- في نهايتها تكون عبارة عن مملكة واحدة يرأسها عشرة ملوك، ومشار إليها في نبوة دانيآل الأصحاح الثاني بأصابع عشرة، هي أصابع قدمي التمثال الشهير الذي رآه نبوخذ نصر في حلمه، والذي فسّره له دانيآل. كما يشار إليها في نفس النبوة بقرون عشرة، هم قرون هذا الحيوان الذي رآه دانيآل في رؤياه هو شخصياً، والتي سجلها لنا مع تفسيرها في الأصحاح السابع، وفيها يصف لنا هذا الحيوان ذو العشرة قرون فيقول عنه إنه «هائل وقوي وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة أكل

وسحق وداس الباقي برجليه وكان مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون» (دانيآل٢: ٤٠-٤٣؛ ٧: ٧،٢٤).

٤- في زمن هذه الإمبراطورية يأتي المسيح ويُقطع (بالصليب - دانيآل٩: ٢٦). ثم في زمنها أيضاً، بعد عودتها للحياة، يظهر الرب يسوع ويسحق هذه الإمبراطورية ويقيم مملكته التي لا تنقرض (دانيآل٢: ٤٤؛ ٧: ٢٢).

ومن سفر الرؤيا يمكننا أن نعرف المزيد عن هذه الإمبراطورية:

٥- في سفر الرؤيا والأصحاح الثالث عشر، يصف لنا الرسول الوضع السياسي في نهاية الأيام، فيخبرنا أن الإمبراطورية التي ستسود على العالم في نهاية الأيام هي عبارة عن وحش له عشرة قرون، ويفسر الرسول هذه القرون العشرة، في رؤيا ١٧: ١٢، بأنهم عشرة ملوك، أي أنها إمبراطورية ضخمة مكونة من اتحاد ممالك عديدة تحت رئاسة عشرة ملوك، يرأسهم شخصية رهيبة؛ ولفظاعته يلقب هو أيضاً بالوحش.

٦- يؤكد سفر الرؤيا أن هذا الوحش، وهو الإمبراطورية الرومانية، جُرِح بجرح مميت في أحد رؤوسه، وهو أحد أطوار الإمبراطورية، بحيث ظن الناس أنها ماتت ولن تعود لها قائمة مرة أخرى، إلا أنهم سيتعجبون في نهاية الأيام (رؤيا١٣: ٣) عندما يرون الإمبراطورية قد عادت بكل قوتها، إلا أنها في صورة عشرة قرون على الرأس الأخير، أي الشكل الأخير الذي ستأخذه الإمبراطورية، وهذا يعني أنها ستكون قائمة على اتحاد فيدرالي بين أعضائها يرأسه عشرة ملوك.

هذا ما أعلنته كلمة الله بصفة عامة، منذ أكثر من ألفي عام، عن التـــاريخ السياسي للعالم حتى مجيء المسيح الثاني ليقيم مملكته. وهــذا مــا أعلنتــه بصفة خاصة عن هذه الإمبراطورية الأخيرة.

والآن نحتاج أن نرجع للتاريخ لنرى تطابقه مع ما سبقت وأعلنته كلمـــة الله، ولا سيما من جهة بداية هذه الإمبراطورية، ثم موتـــها، ثـم عودتــها للحياة في الأيام الأخيرة.

## ماذا يقول التاريخ عن الإمبراطورية الرومانية؟

أعتقد أني لا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لا توجد إمبراطورية، أو دولـــة، أو حدث، شغل المؤرخين ودوائر المعارف المشهورة مثلما فعلت الإمبراطوريــة الرومانية. بل حتى الأدباء، وكُتّاب التراجم الشخصية، ومؤرخــو المعــارك الحربية، ومحللو النظم السياسية، وجدوا مجالاً واسعاً وتربـــة خصبــة فــي تاريخ هذه الإمبراطورية الرهيبة لأعمال فكرية وأدبية كثيرة. ولســـنا هنــا بصدد سرد تاريخها، فهذا ليس في طاقتنا، ولا هو غرضنا؛ لكننـــا ســنتوقف فقط عند أربعة أسئلة، أجيب عن الثلاثة الأوَل منها باختصار ثم نطيل وقفتنــا عند الرابع، إذ هو هدفنا.

### ١- كيف وُلدت الإمبراطورية الرومانية؟

في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد بدأت إحدى القرى الواقعة على نهر التيـــبر في النمو السريع اقتصادياً، وكان ذلك يرجع لموقعها الجغرافي، إذ أنها فـــي قلــب سهول أواسط إيطاليا. كما كان نهر التيبر يصلها مباشرة بـــالبحر، ممــا جعلــها مكاناً مناسباً لتجارة ومقايضة الخيول. وكانت تحيط بتلك القرية الصغـــيرة تــلال سبعة تنهض على ضفاف النهر، كانت هذه التلال بمثابة الملجأ الآمن الذي يحتمـــي

به أهالي القرية من غائلة أعدائهم الذين كانوا يقطنـــون الجبـــال أو الذيـــن كـــانوا يعيشون فيما وراء أفق البحر المجاور. ولقد وصلت ســفن الإغريــق، المتقدميــن حضارياً في ذلك الزمان، إلى سواحل إيطاليا وعرفوا طريقهم لتلك القرية؛ والتـــي هي روما، فتعلم سكان روما من الإغريق الكثير، وتحضـــروا مثلـــهم، بـــل إنـــهم عبدوا إلههم "زيوس" بعد أن أسموه "چوبيتر"، إلا أنهم تميزوا عن الإغريق بأنـــهم كانوا رجال عمل، لا يضيعون وقتاً في المناقشات والكلام الكثير والخيال الأدبـــي، الأمور التي كان يعشقها اليونانيون أجمعون (أعمال١٧: ٢٠،٢١). والبعض يحـــدد تاريخ ميلاد روما بسنة ٧٥٣ق.م.

**٣- كيف نمت روما وصارت إمبراطورية؟**

بينما يرجع تاريخ ولادة روما كمدينة إلى ســـنة ٧٥٣ق.م، فـــإن تـــاريخ ميلادها كإمبراطورية يرجع تقريباً إلى عام ١٤ق.م، وهكـــذا يتضـــح أمـــام القارئ العزيز أن روما لم تصبح إمبراطورية فجأة، ولم تصبح إمبراطوريـــة بتخطيط من رجل أو عدة رجال، مثلما حدث مع ما قبلها من إمبراطوريـــات؛ بل نمت اقتصادياً، وحاربت كثيراً، واستولت على بلاد كثيرة، حتى صـــارت إمبراطورية الإسكندر بكل مجدها إحدى ولاياتها في يوم من الأيـــام. ولقـــد جربت روما أنظمة كثيرة من الحكم قبل أن تصبـــح إمبراطوريـــة، فبـــدأت بالملوك الأتروسيكان، ثم أعلنت الجمهورية، ثم نظام القناصل حيث يُنتخـــب قنصلان كل سنة، ثم النظام الدكتاتوري حيث أقاموا بومبيوس دكتاتوراً مـــدى الحياة سنة ٦٢ق.م. وغيرهـــا مـــن نظـــم الحكـــم كـــان آخرهـــا النظـــام الإمبراطوري الذي بدأه يوليوس قيصر، والذي مُنح لقـــب إمـــبراطور ســـنة ٤٨ق.م. لكن لم ترسخ دعائم هذا النظام الإمبراطوري الجديد إلا على يـــدي خلفه أغسطس حوالي سنة ١٤ق.م.

ولقد علّق على هذا أحد المؤرخين المشهورين "د.هاندريك فان لون" فقال: **"قامت الإمبراطورية الرومانية اتفاقاً، فلم يدبّر قيامها أحد، فلم يهب قائد مشهور أو سياسي ناجح قائلاً: أيها المواطنون: ينبغي لنا أن نقيم إمبراطورية، فاتبعوني وسنغزو معاً جميع البلاد من أبواب هرقل حتى جبال طوروس".**

وهكذا يتضح لقارئي العزيز أن اليد الإلهية، التي تعمل من وراء الستار لتشكل الدهور والأزمنة وتتحكم في أزمنة الأمم، ضبطت الإيقاع حتى تصبح روما إمبراطورية قبيل وصول المسيح بسنوات قليلة (١٤ سنة)، لتُعِدّها لأخطر حدث في تاريخ البشرية، تجسد ابن الله. وهكذا سنرى أيضاً أن ذات اليد تضبط الآن إيقاع الأحداث من جهة عودة هذه الإمبراطورية للحياة، لتعِدّها من جديد لمجيء المسيح الثاني. وكما أبغضت الإمبراطورية المسيح في مجيئه الأول وصلبته، ستبغضه أيضاً في مجيئه الثاني وترفع ضده كل أسلحتها وتحاربه. لكن الاختلاف الكبير هو أن المسيح جاء في المرة الأولى في ثياب الاتضاع، لذا حكمت عليه بالظلم وصلبته، أما قريباً فسيأتيها في ثياب المجد والقوة وسيحكم هو بالعدل عليها، وسيبيدها ويلقي رئيسها حياً في بحيرة النار والكبريت.

### ٣- كيف جُرحت الإمبراطورية جرحها المميت:

«ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت» (رؤيا١٣: ٣).

يقول المؤرخ المشهور د.هاندريك فان لون في كتابه الشيق "قصة الجنس البشري" من منشورات وزارة الثقافة سنة ١٩٥٧ وترجمة الأستاذ أحمد الشناوي:

**"تذكر كتب التاريخ أن روما سقطت سنة ٤٧٦م، لأن هذه هي السنة التي أطيح فيها**

**بعرش آخر أباطرتها، على أن روما التي لم تبن في يوم واحد، قد استغرق سقوطها وقتاً طويلاً؛ فقد جاء هذا الانحلال بطيئاً غاية البطء متدرجاً غاية التدرج، حتى أن معظم الرومان لم يدركوا كيف أخذ عالمهم القديم يسير إلى هذه النهاية".**

فلقد تدهورت الأحوال الاقتصادية جداً، وزاد تذمر الشعب المطحون، في الوقت الذي فيه كان البرابرة يطرقون أبواب الحدود الشمالية للإمبراطورية، ولم يكن عند الدولة في ذلك الوقت جيشاً قوياً يصدّ غاراتهم؛ فاعتمدت على الجنود المرتزقة، والذين كانوا أحياناً من العدو نفسه، وأدى هذا إلى سكن بعض القبائل البربرية في داخل الإمبراطورية، وصارت روما مكاناً غير لائق بسكن الإمبراطور، فقرر قسطنطين (حكم من ٣٢٣-٣٣٧م.) أن ينقل مقر حكمه إلى الشرق، إلى بيزنطة، والتي دعاها القسطنطينية، ولما مات اقتسم ولداه الإمبراطورية؛ فظل الأكبر في روما وحكم الغرب، وأقام الأصغر في القسطنطينية وحكم الشرق. بعد هذا تعرضت روما الضعيفة لجميع أنواع الغزوات من مختلف الأجناس، فغزاها القوط الشرقيين، ثم الألمان، ثم الفرنجة، وغيرهم. وأخيراً تمكن "أدكور" عام ٤٧٦م، وهو قائد فرقة من المرتزقة الألمان، من إزاحة الإمبراطور "رمولوس أغسطولوس"، ونادى بنفسه حاكماً على روما، وما يدعو للعجب أن الإمبراطور الروماني الشرقي قد بايعه.

أعتقد أن هذا هو الجرح المميت الذي يذكره الكتاب في رؤيا١٣: ٣.

لكن السؤال المهم: *هل ماتت الإمبراطورية عندئذ تماماً؟* والإجابة التي يمكنني استنتاجها من دراسة التاريخ هي: *كلا لم تمت*. هي فقط قد جُرحت، ونزفت، وظلت قروناً عديدة في عداد الأموات، وهذا ما تؤكده أيضاً كلمة الله إذ يقول الرائي «كأنه مذبوح للموت» أي أنه لم يمت، وهكذا كانت الإمبراطورية كأنها ميتة، وبجرحها عاشت منتظرة الوقت

المعين من الله غير المنظور – والذي يشكِّل الدهور والأزمنة المنظورة طبقاً لكلمته الحاسمة – الوقت الذي فيه تُشفى من جرحها المميت فتعود للحياة، لتلعب دورها الأخير على مسرح الحياة، وتنال أيضاً قضاءها المريع من يد الذي صلبته من ألفي عام.

**٤- كيف يشفى الجرح المميت؟ وكيف تعود الإمبراطورية للحياة؟**

هذا ما سنراه في الفصل القادم.

# الفصل الثاني

# شفاء الجرح المميت

«ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شُفي» (رؤيا١٣: ٣).

يمكنني أن أقسم حديثي هنا إلى قسمين، فأذكر في القسم الأول بعض المحاولات الفاشلة لشفاء الجرح المميت، وفي القسم الثاني سأذكر المحاولة الأخيرة الناجحة.

**أولاً: محاولات فاشلة**

كما ذكرت من قبل لم تمت الإمبراطورية ويتحلل جسدها وتنتهي تماماً كما انتهت إمبراطوريات أخرى من قبل، صحيح جرحت جرحاً مميتاً كما قال الكتاب، إلا أنه على مدار ١٥٠٠ عام تقريباً لم تتوقف محاولات شفاء الجرح وإعادة الحياة لهذا الجسد الطريح الممزق.

١- كانت أهم وأطول وأقوى هذه المحاولات هي البابوية الرومانية نفسها، فما أن كادت روما تضيع كمقر للعرش الإمبراطوري على يد البرابرة، حتى ابتدأ أساقفة روما في محاولة فرض سيطرتهم على ربوع

الإمبراطورية. واستمرت هذه المحاولات، تارة تنجح وتارة تفشل، حوالي مائة سنة. حتى تهيأ المسرح لظهور رجل قوي في عام ٥٩٠، عُرف باسم "جريجوري"، كان ينتسب للطبقات الحاكمة في روما القديمة، كما كان محافظاً لمدينته روما، ثم صار بعد ذلك راهباً فأسقفاً لها، ثم تبوأ عرش البابوية في روما. ولقوته، سرعان ما دانت له كل أوروبا الغربية معترفة به لا كالزعيم الديني فقط بل أيضا كزعيم سياسي. وهكذا، فإن روما وإن كانت قد فقدت عرش الإمبراطور، إلا أنه حل محله عرش البابا، والذي لم يجد غضاضة في أن يضع على رأسه التاج الإمبراطوري، واستطاع بسرعة أن يضمن لروما ولاء أوروبا الغربية. ومع أن سطوة البابوات استمرت لأكثر من ألف سنة حتى قام الإصلاح، إلا أن البابوات بعد جريجوري – وعلى الرغم من سلطتهم الدينية المطلقة – إلا أنهم لم يكونوا من القوة حتى ينجحوا سياسياً في جمع شمل أجزاء الإمبراطورية وتوحيد أوروبا تحت زعامتهم.

٢- بعد تحول عصا السلطان من العرش الإمبراطوري إلى العرش البابوي، كان الاتحاد وثيقاً بين البابوات وملوك الفرنجة، وهم القبائل الجرمانية التي تحتل شمال غرب أوروبا وأشهرها ألمانيا وفرنسا، وذلك طلباً لحمايتهم للعرش البابوي. وفي عام ٧٦٨م، أي بعد حوالي ٣ قرون من جرح الإمبراطورية المميت، كان يملك على الفرنجة ملك قوي اسمه الملك "شارل"، والذي يعرف في التاريخ بـ"شارلمان"، وقد أدى هذا الملك خدمة جليلة للبابا "ليو الثالث" إذ أنقذ حياته إذ كان قد تعرض البابا لمحاولة اغتيال على يد عصابة من رعاع الرومان، وأعاده شارلمان إلى عرشه البابوي. وأراد البابا رد الجميل له، فبعد

عدة شهور من محاولة الاغتيال الفاشلة في ديسمبر ٧٩٩م كان "شارلمان" يحضر قداس عيد الميلاد في كنيسة القديس بطرس في روما، وفجأة، وأمام آلاف الحاضرين، بعد أن نهض "شارلمان" من صلاته، إذ بالبابا يضع على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية، ويلقّبه بإمبراطور الرومان، بل وخلع عليه لقب أغسطس، هذا اللقب الذي لم يُسمع منذ مئات السنين، فصار اسمه "الإمبراطور شارلمان أغسطس"، ليعطي الإيحاء أن الإمبراطورية الرومانية قد عادت وشُفي جرحها المميت، حتى أن الإمبراطور الروماني الشرقي - إمبراطور القسطنطينية - أرسل إليه ليثني عليه ويهنئه بالإمبراطورية مخاطباً إياه بقوله: "أخي العزيز".

لكن هيهات، فلا الجرح شفي، ولا الحياة عادت، فلم يكن الوقت قد أتى بعد من مُنشئ الدهور الذي لا يفنى الإله الحكيم الوحيد. فقد مات "شارلمان" سنة ٨١٤م، وتقاتل أولاده وأحفاده في سبيل الفوز بالتركة، مما أدى إلى تقسيمها بمقتضى معاهدات شهيرة كمعاهدة "فردان" عام ٨٤٣م، و"مرش" عام ٨٧٠م، وانقسمت المملكة الجرمانية لأول مرة لقسمين؛ حيث استولى "شارل الجسور" (حفيد شارلمان) على الجزء الغربي، والذي اعتبره امتداداً للإمبراطورية الرومانية وفرض اللغة الرومانية (أي اللاتينية) على الفرنجة*، واستولى الحفيد الآخر على القسم الشرقي والذي كان الرومان يطلقون عليه جرمانيا، وجرمانيا هذه لم تتأثر بالحضارة الرومانية قط، وكان أهلها يتكلمون اللغة الجرمانية. وقد كان الرومانيون

---

*هذا يفسر كيف أن بلاد جرمانية الأصل كفرنسا تتكلم اللغة اللاتينية.

المتحضرون يطلقون على اللغة الجرمانية (الألمانية) اسم *Lingua Teutisca* أي اللهجة العامية، إذ أنها مشتقة من الكلمة المشهورة "تيوت" والتي تعني "الشعبي أو العامي"، وقد أصاب التحريف كلمة *Teutisca* فأصبحت دويتش *Deutsch* وهي التي تطلق اليوم على ألمانيا *Deutsh Land*.

وبهذا الانقسام سقط التاج الإمبراطوري مرة أخرى، وصار ألعوبة في يد العديد من الأمراء، يتقاتلون عليه ويسرقونه الواحد من الآخر.

٣- وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، فقد تعرض البابا "ليو الثامن" لمناوأة شديدة من أعدائه، فأرسل مستنجداً، كسلفه "ليو الثالث"، بمملكة الفرنجة، لكن ليس الغربية بل استنجد بالمملكة الشرقية (أي الألمان)، فأرسل رسله ليمثلوا بين يدي "أوتو"، وهو أمير قوي كان يُعد الزعيم الأكبر للقبائل الجرمانية، فنجّدَه الأمير "أوتو"، والذي كان يحب إيطاليا جداً، وكانت المكافأة معروفة، فقد وضع البابا "ليو الثامن" تاج الإمبراطورية الرومانية على رأسه وجعله إمبراطوراً. وسمي عند ذاك الجزء الشرقي من مملكة شارلمان القديمة باسم عجيب: "الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية"، وكان ذلك حوالي عام ٩٦١م، أي ما زال الحلم موجوداً والمحاولات مستمرة لشفاء الجرح المميت؛ لكن أيضاً نقول: هيهات، فلم يأت الميعاد بعد.

٤- ظلت هذه البدعة السياسية (الإمبراطورية الرومانية في ألمانيا!) تناضل لسنين طويلة، بلغت حوالي ٨٣٩ سنة؛ حتى تلاشت على يد رجل من الجزء الغربي من مملكة شارلمان، أي من فرنسا، كان ابن مسجل عقود كورسيكي، إلا أنه تسيد على أوروبا وقضى على

الإمبراطورية الألمانية، هذا الرجل هو "نابليون بونابرت". ولم يفته بالطبع أن يحاول شفاء جرح الإمبراطورية الرومانية، فأرسل إلى روما وطلب من البابا "ابيوس السابع" أن يأتي إليه لتتويجه إمبراطوراً، فأتى بابا روما ووضع التاج على رأس نابليون، ونادى به وريثاً لسلطان شارلمان، أي الإمبراطور الروماني الجديد.

إلا أننا هنا نكون قد وصلنا للعصر الحديث، وكلنا يعلم كيف باءت محاولة "نابليون" أيضاً بالفشل بعد أن جرّ على أوروبا كلها حروباً مدمرة هلك الملايين بسببها. وبعده قامت محاولات أخرى صغيرة حيث أقيمت إمبراطورية في ألمانيا سنة ١٨٧٠ لبس الإمبراطور فيها تاج الإمبراطورية، وسقطت سنة ١٩١٨. ثم قامت محاولة أخرى في روما على يد "موسوليني"، ومن ألمانيا مرة أخرى على يد "هتلر"؛ إلا أنهما باءتا بالفشل، ولم تؤديا إلا إلى المزيد من التمزق لأوصال جسد الإمبراطورية الرومانية، ولم يشف بعد الجرح المميت.

٥- أما من الجهة الشرقية في القسطنطينية، فقد استمر العرش الإمبراطوري حتى عام ١٤٥٣ عندما سقطت القسطنطينية في يد الأتراك وقتل قسطنطين باليولوغس آخر أباطرة الرومان من نسل قسطنطين الأكبر على درج كنيسة القديسة صوفيا. إلا أنه قبل قتله بسنوات قليلة تزوجت "زوي" ابنة أخيه "توماس" من "إيفان الثالث" حاكم روسيا، وكانت روسيا في ذلك الوقت تتبع القسطنطينية من ناحية الولاء الديني وليس روما، واعتبر "إيفان الثالث" سقوط القسطنطينية معناه انتقال الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى روسيا، فارتدى على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية وعليه النسر ذو الوجهين، وصار هذا

النسر ذو الوجهين هو شعار روسيا (كان هو شعار الإمبراطورية الرومانية في القسطنطينية باعتبار أن لها وجهين: شرقي وغربي).
وآخر من ارتدى هذا التاج وعليه هذا النسر ذو الوجهين هو القيصر "نيقولا الثاني" والذي قُتل بعد الثورة البلشفية هو وعائلته عام ١٩١٧م.
ومن الطريف أن نعلم أنه في الثامن من ديسمبر ٢٠٠٠ أقر الدوما الروسي مشروع الرئيس بوتين باعتماد العلم القيصري المثلث الألوان علماً وطنيا إضافة إلى رأس النسر المزدوج!!
أي أنه إلى وقت قريب كان هناك قيصر في روسيا يحمل على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية القديمة (الشرقية)، وسقط سنة ١٩١٧.
وهاهو الرئيس الروسي الحالي في سنة ٢٠٠٠ ما زال يحلم برمز الإمبراطورية الرومانية، ويأمر بوضعه في العلم الروسي الجديد.
كما كان هناك أيضا إمبراطور في ألمانيا يحمل على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية القديمة (الغربية)، وسقط سنة ١٩١٨. كل هذا يعني أن الإمبراطورية طول هذه القرون لم تمت وإن كانت مجروحة بجرح مميت.

## ثانياً: المحاولة الناجحة وشفاء الجرح المميت

«وجرحه المميت قد شُفي» (رؤيا١٣: ٣).

لقد حاولت باختصار أن أوضح لقارئي العزيز - مما سبق - كيف أن الإمبراطورية الرومانية التي أقامها أوغسطس سنة ١٤ق.م لم تمت وإن كانت قد جُرحت جرحاً مميتاً، وأن محاولات شفاء هذا الجرح استمرت بلا هوادة حتى سنة ١٩١٧م. إلا أنه يتضح أيضاً أن كل هذه المحاولات كانت

تقوم على أساس إقامة الإمبراطورية بالقوة، أو بلغة الكتاب: محاولة إرجاع الساقين من حديد، ولكنها فشلت.

لكن الكتاب أخبرنا أن الإمبراطورية عندما يشفى جرحها، وتعود للحياة، ستكون في صورة قدمين بهما عشرة أصابع ومكونة من حديد وخزف، وبالطبع ما يربط قطع الحديد ببعضها ويجمعها معاً هو الخزف أو الطين. وفي اعتقادي الشخصي أنه إذا كان الحديد في القدمين يشير إلى القوة العسكرية، تلك القوة التي قامت على أساسها الإمبراطورية وعاشت وحكمت بها من فجر تاريخها، فإن الخزف يشير إلى المصالح الاقتصادية المشتركة.

فالإمبراطورية العائدة للحياة ستكون قائمة – كما سنرى – على أساس اقتصادي، وليس عسكري ولا حتى سياسي. وهذا لا يتعارض مع كونها تملك من الحديد – أي القوة العسكرية* – ما يجعلها تسود العالم كالقديم، لكنها لم تتحد على أساس القوة العسكرية، بل القوة الاقتصادية. فكل مَن قَبِل الدخول في هذا الاتحاد من شعوب أوروبا إنما دخله بحثاً عن أمان اقتصادي ورفاهية. والوحدة الاقتصادية، ولا سيما عندما تكون بين شعوب متحضرة كشعوب أوروبا، قادرة فعلاً على جمع الشعوب تحت لوائها. والاقتصاد قادر أن يجمع القوة العسكرية ويسخرها لصالحه، كما تفعل أمريكا الآن؛ فكل أساطيلها الحربية لخدمة مصالحها الاقتصادية.

لكن يبقى أنه عندما يكون الأساس الذي يقوم عليه الاتحاد هو أساس اقتصادي، فهذا أساس هش للغاية وضعيف كالخزف، فإذا حدثت هزة اقتصادية

---

* في أخر اجتماع لقادة دول الاتحاد الأوربي في ديسمبر ٢٠٠٠، قرر المجتمعون إنشاء قوة أوروبية خالصة للانتشار السريع، بالاستقلال عن حلف شمال الأطلنطي، قوامها ٦٠ ألف جندي من مختلف دول أوروبا.

لإحدى دول الاتحاد، وشعرت أن وجودها داخل الاتحاد يؤثر سلبياً على اقتصادها، أو حتى إذا رأت إحدى دول الاتحاد أنها بوجودها داخل الاتحاد تفيد أكثر مما تستفيد؛ فإنها – من وجهة نظري – لن تتورع عن الانفصال، ولن يستطيع أحد أن يجبرها على البقاء داخل الاتحاد، إذ أن لغة الإجبار والقوة غير واردة، وعليه يمكننا القول أن الإمبراطورية قد عادت للحياة، وهي فيها وعندها القوة العسكرية التي تجعلها سيدة العالم كما كانت من قبل، لكن يبقى أن أساس وحدتها هو أساس اقتصادي مما يجعل وحدتها وحدة هشة كالخزف.

فتعال بنا الآن لنرى كيف ستنتجح تلك المحاولة الأخيرة السلمية في شفاء الجرح المميت وإعادة الروح للإمبراطورية الرومانية، بعد أن سقط آخر تاجين إمبراطوريين في أوروبا (التاج الروسي والتاج الألماني)، واللذان كان كلاهما يوحي لنفسه وللعالم أنه امتداد للإمبراطورية الرومانية التي لم تغب أبدا عن الأذهان. وبعد أن اشتعلت حربان طاحنتان هما الحرب العالمية الأولى والثانية – واللتان مزقتا جسد أوروبا تمزيقا وكان ضحاياهما سبعين مليون نسمة من خيرة شباب القارة – بدا وكأن حلم الوحدة وعودة الإمبريالية (الإمبراطورية) قد مات، لكن العجيب أنه لم تمض على نهاية الحرب الثانية سوى ست سنوات، وكانت الجروح التي خلفتها لم تبرأ بعد والخراب الذي جلبته لم يصلح بعد، إلا وبدأت أولى محاولات الإحياء:

١- **في سنة ١٩٥١**، تكون اتحاد اقتصادي أوروبي لتوحيد تجارة الفحم والصلب لكي تحتكر أوروبا تجارته، وسمي ذلك الاتحاد *European Coal & Steel Community* أي الجمعية الأوروبية للفحم والصلب *ECSC*.

٢- **في سنة ١٩٥٨**، اتسع النشاط ليشمل مختلف نواحي الإنتاج

الأوروبي، وتعمقت الوحدة الاقتصادية وتمخضت عن توقيع اتفاق *European Economic Community* أي الاتحاد الاقتصادي الأوروبي، أو ما عُرف باسم السوق الأوروبية المشتركة *EEC*.

٣- **في سنة ١٩٧٠**، تم الاتفاق على السير في خطوات ثابتة نحو وحدة اقتصادية ونقدية كاملة *Economic and Monetary Unit (EMU)* تتم بعد ١٠ سنوات، أي سنة ١٩٨٠ وذلك بمقتضى خطة واضحة محددة سميت *Werner plan* خطة فيرنر.

٤- **في حقبة السبعينات**، تعثرت الخطوات، إلا أنه في نهايتها، وبالتحديد في ١٩٧٩، تم الاتفاق على نظام نقدي أوروبي *European Monetary System (E.M.S.)* لكن بريطانيا رفضت الدخول فيه.

٥- **من سنة ١٩٨٠-١٩٨٥**، كانت فترة التشاؤم الأوروبي والتصلب كما يسمونها.

٦- **ابتداءً من ١٩٨٦**، دَبّ النشاط من جديد وتوالت الاجتماعات، حتى تمخضت سنة ١٩٨٩ عن تبني خطة "جاك ديلور" للوصول إلى الوحدة النقدية الأوروبية *EMU*، ودخلت أسبانيا في الوحدة.

٧- **في سنة ١٩٩٠**، تمت أول خطوة في الخطة، ودخلت إنجلترا في نظام التحويلات الأوروبي *ERM* (*Exchange Rate Mechanism*).

٨- **في ١٠ ديسمبر ١٩٩١**، تم توقيع أشهر معاهدة وهي معاهدة "ماستريخت"، وكان ذلك عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بالقمة وشعور دول أوروبا بحتمية اتحادهم. هذه المعاهدة التي ترمي إلى أبعد من مجرد الوحدة الاقتصادية، بل تنص على وحدة سياسية وعسكرية واقتصادية كاملة؛ وكان بالطبع من بنود هذه المعاهدة

الشهيرة التأكيد على أهمية $EMU$ أي الوحدة الأوروبية النقدية.

٩- منذ ذلك الوقت انطلقت الوحدة الأوروبية في طريقها بـأقصى معـدلات السرعة، لا يعوقها عائق، وتوالى اشـتراك الـدول الأوروبيـة فيـها، واستعدادهم للخضوع لشروط الوحدة. وتم الاتفاق على إلغـاء الحـدود بين الدول، وأن يحمل الأفراد جواز سـفر أوروبـي، وتكـون البنـك المركزي الأوروبي. ثم كانت قمة الوحدة عندما تم الاتفاق أخيراً علـى عملة أوروبية موحدة هي اليورو، تطرح في ١ يناير ١٩٩٩ في السـوق البنكية بجوار العملات الوطنية الأخرى، بشرط أن كل التحويـلات فـي سوق النقد الأجنبي تتم أولاً إلى اليورو ومنه إلى العملات الوطنية، علـى أن يُطرح اليورو لتداول رجل الشارع في السوق ابتـداءً مـن ١ ينـاير ٢٠٠٢، ثم اتفق على أنه ابتداءً من ١ يوليو ٢٠٠٢ يتـم إلغـاء جميـع العملات الأوروبية، بما فيها الإسترليني والمـارك والفرنـك وغيرهـا، ليكون اليورو هو العملة الأوروبية الوحيدة بين الدول الأعضاء.

**أمر غريب**:

في أغسطس ١٩٩٨، كنت في زيارة للبنان، وفي أحد المؤتمرات وعقـب نهاية اجتماع كان الكلام فيه عن قرب مجـيء الـرب، سـألني الأخ مدير المكان الذي عُقد فيه المؤتمر وهو خادم للرب قائلاً: "لقد تكلمت اليـوم عـن اليورو، فهل سبق لك ورأيته؟" فقلت: "لا، لأنه على حد علمي لـن يُطـرح للعامة إلا في يناير ٢٠٠٢". فقال لي: "لقد استطعت بواسطة أحد الأصدقـاء الألمان أن أحصل على ثلاث عملات من فئات مختلفة من اليورو مـن أحـد البنوك (ويبدو بالطبع أنها عملات تذكارية)". فقلت له: "أرنـي إياهـا مـن

فضلك". وعندما رأيتها امتلأت فرحاً لأنها صارت واقعاً، لكنني امتلأت في نفس الوقت خوفاً ودهشة عندما قلبتها فوجدت على أحد وجهيها قيمة العملة باللغة اللاتينية (لغة الإمبراطورية الرومانية) واليونانية، ثم على الوجه الآخر صورة لامرأة راكبة على وحش طالع من مياه كثيرة وحول رأسها ١١ نجمة هي عدد دول الوحدة في ذلك الوقت.

وما أدهشني ليس بالطبع أني أرى كلمة الله المسجلة في سفر الرؤيا وهي تصف أوروبا الموحدة بهذه الصورة تتم أمامي بصورة حرفية: «قائلاً لي: هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة... فمضى بي بالروح إلى برية، فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف، له سبعة رؤوس وعشرة قرون» (رؤيا١٧: ١-٣)، «ثم وقفت على رمل البحر، فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان» (رؤيا١٣: ١)، لكن ما أدهشني هو تصرف هؤلاء الذين صمموا هذه الصورة. وقلت في نفسي إما أنهم يعلمون نبوة الكتاب ويتممونها، وفي هذا جرأة وفجور لا مثيل له إذ يعلمون غضب الله ودينونته التي ستلحق بهم وهم لا يعبأون؛ أو أنهم يتممون وهم لا يعلمون، وهنا أتعجب: ألم يقرأ سكان أوروبا المسيحيون بالاسم كلمة الله ولا سيما هذا الجزء الخطير؟

لكن في النهاية عظمت الله على صدق نبوته، ورددت مع الرسول «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت».

يبقى لنا سؤال في غاية الأهمية ثم تعليق.

أما *السؤال* فهو: هل يرى أهل العالم، ولا سيما مثقفوه وسياسيوه، ما نراه نحن في هذه الوحدة الأوروبية؟ أي هل يرون أن هذه الوحدة هي إحياء

للإمبراطورية الرومانية القديمة؟

والإجابة باختصار هي: نعم هم يرون ذلك. وأكتفي بدليل واحد من جريدة الأهرام المصرية، وبالتحديد عددها الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩، وعلى الصفحة الخامسة منها، تحقيق طويل في حوالي نصف صفحة كاملة عنوانه بالحرف الواحد هو:

**"الوحدة الأوروبية...**

**عودة الروح للإمبراطورية الرومانية"**

لقد قرأت العنوان فطفر قلبي، واقشعر جسدي، وكدت لا أصدق؛ لكنني وبخت نفسي بعدها وقلت: ولماذا لا تصدق، أليس عندنا الكلمة النبوية وهي أثبت؟ وأنقل لك من هذا المقال بالحرف الواحد ماكتب في هذا الصدد:

**"تجربة الوحدة الأوروبية واحدة من الحلقات الفريدة في تاريخ البشرية منذ انطلاقها في عقد الخمسينات، فقد كانت جميع تجارب الوحدة السياسية في عهود سابقة من النوع القصري... لكن وحدة أوروبا تتخذ الآن مسارا مختلفاً، تغلب عليه لغة المصالح الاقتصادية..."** ثم يقول: **"إن التطور الراهن في مسيرة وحدة أوروبا، استدعى إلى الذهن الأوروبي قبل غيره الأيام الغابرة للإمبراطورية الرومانية القديمة التي امتدت في يوم من الأيام من الجزر البريطانية وحتى القسطنطينية، مع ملاحظة أن سطوة الرومان كانت بفعل قوة السلاح وعلى حساب الحريات، بينما السلاح القوي الحديث للأوروبيين المعاصرين هو العملة الموحدة اليورو التي ظهرت في مطلع العام الحالي في المرحلة الأولى لتطبيق اتفاقية الوحدة النقدية".**

وأنقل لك النذر اليسير مما قيل في حوار بين الدكتور عبد المنعم سعيد - المحاور السياسي المعروف - وخافيير سولانا - أول مفوض أوروبي

للسياسة الخارجية الأوروبية – وكان ذلك في أكتوبر ١٩٩٩:

د. عبد المنعم سعيد: "**الاتحاد الأوروبي أقوى قوة اقتصادية على مستوى العالم، فقيمة صادراته بالنسبة للصادرات العالمية ٣٨,١٥٪، بينما نسبة الولايات المتحدة الأمريكية ١٢,٤٦٪، واليابان ٧,٦١٪، والصين ٣,١٪، (عام ١٩٩٧)**". ويقول أيضاً: "**الاتحاد الأوروبي أنجح تجمع عرفته البشرية وتجربة التكامل والوحدة الأوروبية أنجح تجربة عرفتها البشرية**".

خافيير سولانا في رده على سؤال هل هناك احتمالية العودة عن هذه الوحدة يقول: "**إننا ليس فقط وصلنا في وحدتنا إلى نقطة اللاعودة، بل إن نقطة اللاعودة قد مضت منذ أمد بعيد، ولا سيما بعد اليورو، ولكننا نحتاج لوقت لكي نصبح الولايات المتحدة الأوروبية**".

أما التعليق فهو كلمات قليلة أُردّ بها على اتهام أتوقع أن يوجهه البعض، ألا وهو أننا نفسر الكتاب في ضوء الأحداث. فأقول إن هذا غير صحيح بالمرة، وإن كنا لا ننكر أن الأحداث تعطينا إمكانية أكبر لفهم بعض الغوامض في النبوة، إلا أن تفسير النبوة لا يعتمد إطلاقاً على الأحداث، بل على كلمات الوحي نفسها وارتباطها ببقية النبوات. والدليل على ذلك أن شراح الكتاب الأفاضل الذين قرأوا الكتاب وتكلموا عن هذه الوحدة العتيدة التي نراها نحن ماثلة أمام عيوننا، فعلوا ذلك من عشرات السنين، بل من أكثر من مائة عام، بل وقالوا ذلك عندما كانت الحروب تمزق جسد أوروبا. وأسوق لك بعض الأمثلة:

***١ – جون داربي (والذي توفي سنة ١٨٨٢):***

في تعليقه على رؤيا ١٣ *(Synopsis vol.5 rev.13)*: "**لا شك عندي أن**

الوحش في رؤيا١٣ هو الإمبراطورية الرومانية القديمة، لكن بعد تطوير في شكلها وظهورها في طابع جديد، وستكون متحدة وكاملة من جهة شكل الحكم، إلا أنها ستظل تتكون من اتحاد بين عشرة ممالك وهذا في رأيي نقطة الضعف في حكمها".

*٢- وليم كيلي (المتوفي سنة ١٩٠٦):*

في شرحه لسفر دانيآل الأصحاح الثاني صفحة ٤٩ قال: "لقد تحطمت الإمبراطورية الرومانية إلى عدة ممالك منفصلة مستقلة، ولقد حاول شارلمان أن يقيمها من جديد لكنه فشل، لكن في نهاية الأيام سيكون أغرب وأعجب اتحاد بين عناصر تبدو متضادة إلا أنهم سيتحدون تحت زعامة رأس عام للإمبراطورية، حتى وإن ظلوا ممالك لكل منها رئيسها، وإن كان هناك جزء في العالم ينطبق عليه هذا الوصف ممالك مستقلة لكنها متحدة لا تختلط لكن تندمج تحت زعامة رئيس واحد فلا يمكن أن يكون غير أوروبا الحديثة"

*٣- ف.و.جرانت (المتوفي سنة ١٩٠٢):*

يقول في تعليقه على رؤيا١٣: "عشرة ملوك يعطون ولاءهم وقوتهم لرئيس واحد ... في الإمبراطورية الرومانية القديمة لم يحدث هذا إطلاقا ،إلا أن هذا سيكون حال الإمبراطورية الرومانية عندما تحيا من جديد في أوروبا في الأيام الأخيرة".

*٤- هـ.إيرونسيد (كتب في سنة ١٩٢٠):*

كتب في شرحه لسفر دانيآل الأصحاح الثاني يقول: "هل تتساءلون متى سيقع هذا الحجر؟ إن ذلك سيحدث عندما تتحد البلدان التي كانت تكون قديما الإمبراطورية الرومانية في أوروبا، وتعمل تحالفا يضم عشر ممالك. إني أرى بوادر إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة، ومن دراستي لكلمة الله لا أتوقع إلا أحد

أمرين: إما حرباً عالمية، وإما تحكيماً عالمياً. وسيعقب أي منهما خطوات جادة تؤدي إلى إحياء الإمبراطورية في صورة الممالك العشرة".

*٥- حليم أرسناوي (توفي سنة ١٩٥٦):*

في كتابه الشهير صدى النبوات (ص٣٠٠) والذي كتب في الأربعينات من القرن العشرين: "سوف يحدث اتحاد سياسي وعسكري واقتصادي في أوروبا الغربية، وسوف يبرز هذا الاتحاد بعد اختطاف الكنيسة العتيد، والرئيس الآتي هو حاكم روما العنيد، وسيكون في البداية رئيسا لروما فقط، وسيكون في اتحاد مع عشرة ملوك آخرين غير مستقلين عنه بباقي أجزاء الإمبراطورية الغربية، ونظن أن اتحاد غرب أوروبا سيجعل مركزه إيطاليا وقيادته تكون في روما".

*٦- ناشد حنا (كتب في سنة ١٩٨٠):*

كتب في شرحه لسفر دانيآل: "سيحدث قبل نهاية أزمنة الأمم، وبعد اختطاف الكنيسة إلى السماء، أن تعود المملكة الرومانية إلى الحياة، وهذا ما يشار إليه بشفاء الجرح المميت الذي كان بأحد رؤوس الوحش الطالع من البحر، ولكن عودتها إلى الحياة ستكون في شكل تحالف فيدرالي بين عشر ممالك.. ونستطيع أن نرى بوضوح مقدمة لهذا النظام في أوروبا الحديثة" (شرح دانيآل ص٧٤، ٧٥ طبعة أولى سنة ١٩٨٠).

إذا فنحن لا نفسر النبوة في ضوء الأحداث، بل نقرأ الأحداث في نور النبوة.

## عشر ممالك أم عشرة ملوك؟

كثيرون يتساءلون كم سيكون عدد دول الاتحاد الأوروبي عند ظهور الوحش؟ هل هم عشرة أم أكثر أم أقل؟

وفي الحقيقة، لا أجد أي داعي لسؤال مثل هذا من الأصل، فالكتاب لم

يتكلم عن عدد دول يشكلون الإمبراطورية الرومانية العائدة للحياة، لكنه تكلم عن أفراد متحدين كمجلس إدارة يحكمون هذه الإمبراطورية، وحدد عددهم بعشرة، ثم يقوم واحد صغير ليُسقط قدامه ثلاثة منهم ويستأثر هو بالسيادة على الإمبراطورية. ومن يرجع للكتاب في مواضعه الشهيرة (مثل دانيآل٢؛ ٧؛ رؤيا١٧) لا يجد أي إشارة لاتحاد ممالك، بل على العكس، يتكلم عنها كمملكة واحدة متحدة. أنظر مثلاً دانيآل٢: ٤٢ «وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فبعض **المملكة** (لاحظ مملكة وليس ممالك) يكون قوياً والبعض قَصِماً»، ثم في عدد ٤٤ يقول: «وفي أيام هؤلاء **الملوك**، يقيم إله السماوات **مملكة** لن تنقرض أبداً». إذاً هم عشرة ملوك وليست عشرة ممالك. وفي دانيآل٧: ٢٣ يقول الكتاب «أما الحيوان الرابع فتكون **مملكة** رابعة على الأرض (لاحظ مملكة وليس ممالك) مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي **عشرة ملوك** يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويُذل ثلاثة ملوك» لاحظ مملكة وعشرة ملوك من هذه المملكة، لكن ليست عشر ممالك. وفي رؤيا١٧: ١٢، ١٣ يقول: «والعشرة القرون التي رأيت هي عشرة ملوك لم يأخذوا مُلكاً بعد، لكنهم يأخذون سلطاناً كملوك ساعة واحدة مع الوحش. هؤلاء لهم رأي واحد، ويعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم».

إذاً واضح جداً أنه بعد أكثر من ٦٠٠ سنة (الفارق بين دانيآل والرؤيا) ما زالت النبوة تتحدث عنهم كملوك وليس كممالك، لأنهم في الحقيقة مملكة واحدة كما أكد دانيآل٢، ٧. لكن ألا يُفهم ضمناً من العبارة «عشرة ملوك» أنهم عشر ممالك؟ هذا ربما ما كان يُفهم قديماً، ولهم عذر في ذلك، أما أمامنا نحن الآن فالأمر واضح وجلي؛ فأوروبا تحوي دولاً كثيرة تزيد عن

الخمسين دولة، ومعظم دولها يرغب في الانضمام للوحدة، ولذا نحن لا نعلم كم سيكون عدد الدول في النهاية، لكننا نعلم علم اليقين من كلمة الله أنها ستكون مملكة كبيرة متحدة يديرها عشرة ملوك. ومن يتابع أخبار الاتحاد الأوروبي يعرف أنه في ضوء تحديد الشروط الكثيرة للانضمام للاتحاد تبرز دائماً مشكلة التصويت داخل مجلس الاتحاد الأوروبي، فهل من المعقول أن تتساوى دولة رهيبة كألمانيا بكل ثقلها السكاني والسياسي والمادي وكدولة مؤسسة للاتحاد، مع دولة مثل لوكسمبورج مثلاً؟ أو تتساوى فرنسا مع المجر مثلاً؟ بالطبع كلا. وهم لم يصلوا بعد إلى حل حاسم نهائي، لكن ما نتوقعه نحن في ضوء الكلمة أن النهاية عبارة عن مجلس من عشرة يرأسهم واحد سيكون هو في النهاية الوحش.

أختم حديثي موجهاً سؤالي إلى عقل قارئي العزيز وقلبه:

**ما هو موقفك من هذا الكتاب القديم؟** كتاب مر على كتابته أكثر من ألفي عام رسم بدقة أحداثاً نعيشها اليوم، **أفلا يكون هو كتاب الله؟**

إني أسأل عقل وقلب المفكر والمثقف، ألا تحتاج لكتاب يقول الصدق والحق؟ كتاب لا يبلى أو يقدم مع السنين، بل لا تُفَسَّر أحداث القرن الواحد والعشرين إلا في نوره؟

إن هذا الكتاب هو الكتاب المقدس، والذي برع، لا فقط في كشف مستقبل الإنسان، بل في كشف قلب الإنسان وفراغه وخواءه وفساده، بل كشف ما هو أعظم من ذلك؛ إذ قد كشف قلب الله بكل حبه وعطفه وتقديره للإنسان، فهلا أحببت هذا الكتاب؟ أرجوك أن تفعل.

# الباب الثاني

# العولمة

## الخلفية المناسبة لظهور الوحش والنبي الكذاب، والبيئة المناسبة لمبتدإ الأوجاع

# الفصل الثالث

# تعريف العولمة ومصدر وجودها

«هلمّ نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض» (تكوين١١: ٤).

منذ أوائل عقد التسعينات، قفزت هذه الكلمة لتلاحق أسماع وأنظار البشر أينما كانوا؛ كلمة لا تخلو منها جريدة يومية في شتى بقاع الأرض، وموضوع لا تخلو منه أجندة أي مؤسسة اقتصادية أو ثقافية أو سياسية في شتى أنحاء العالم، بل صارت هي الشغل الشاغل والعمود الفقري لعمل أكبر ثلاث منظمات اقتصادية، والتي تسمى بمجلس إدارة اقتصاد العالم؛ ألا وهي البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية. بل أصبحت أيضاً موضوعاً رئيسياً، لا يخلو منه منهج دراسي في جميع الكليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية.

وبسبب العولمة كثر الجدل بين صفوة المثقفين في مختلف بقاع الأرض، وانقسموا بين مؤيد ومعارض أو مترقب ملاحظ، وبسببها أيضاً اندلعت المظاهرات في العالم عدة مرات، أشهرها مظاهرات "سياتل" في ولاية واشنطن الأمريكية، حيث عُقدت اجتماعات منظمة التجارة العالمية في نوفمبر ١٩٩٩.

وفي براج عاصمة التشيك عام ٢٠٠٠، حيث عُقد اجتماع محافظي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. وصارت هذه الكلمة تثير القلق عند كثيرين، ولا سيما الفقراء والعمال، لا فرق في هذا بين دول متقدمة أو دول نامية.

وحول هذا الموضوع ألقت المطابع بمئات، بل ربما بآلاف الكتب بكل اللغات، تتناول جميعها هذه القضية بالبحث والتحليل.

لهذا كله رأيت - كواحد من شعب الله المتغرب في هذه الأرض، والذي بين الحين والآخر يرقب اهتمامات البشر من حوله، محاولاً استطلاع أي شيء يؤكد لي قرب لحظة مجيء المسيح، سيدنا الذي طال انتظار الكنيسة له - رأيت أن أقف قليلاً أمام هذه القضية، محاولاً أن أفهم شيئاً عن أبعادها، لأرى إن كان يمكنها أن تساهم أم لا في تأكيد قرب ارتحالنا. وبعد أن توقفت وقرأت وبحثت- لفائدتي الشخصية - رأيت أن أشارك قارئي العزيز بخلاصة ما فهمت.

## لماذا نكتب عن العولمة؟

وربما في البداية يتساءل أحد القراء الأعزاء قائلاً: هل من الممكن أن يكون للعولمة علاقة بمجيء المسيح؟

وبالطبع هذا سؤال هام، وهو عين ما دفعني للقراءة والكتابة عنها، وأعتقد أن الإجابة عنه تُعَد مدخلاً جيداً لهذه الدراسة، وأجيب عنه بأن أسأل قارئي العزيز:

*بماذا تنبأت كلمة الله عن الأحداث التي ستقع على الأرض قبيل مجيء المسيح ليملك عليها؟*

*هل تنبأت كلمة الله عن سلطة عالمية ستظهر وتتمكن من فرض سيطرتها على كل الأرض؟*

*هل تنبأت كلمة الله عن شخص سييرز ويسود على العالم اقتصادياً وسياسياً؟*
*هل تنبأت كلمة الله عن قلاقل وثورات سياسية واجتماعية تعم كل الأرض؟*
*هل تنبأت كلمة الله عن تزعزع سلطات الدولة وزوال هيبتها في كل بقاع الأرض؟*
*هل تنبأت كلمة الله عن كوارث اقتصادية ستعم الأرض فتنتشر مزيداً من الفقر والمرض والموت؟*
*هل أشارت كلمة الله إلى ازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء حيث يزداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً؟*
*هل توجد إشارات في سفر الرؤيا عن توحيد العالم دينياً لتكون هناك ديانة عالمية واحدة بالإضافة إلى حكومة عالمية واحدة؟*

إذا كانت إجابة قارئي العزيز عن هذه الأسئلة بالإيجاب، فدعني أقول لك: "إذاً لابد أن نتكلم عن العولمة". وسأنقل لك ما يقوله عظماء المفكرين والمثقفين في العالم عن العولمة، لكي تتعظم – أمام القارئ – كلمة الله، التي تنبأت من آلاف السنين بهذه الأحداث، وشرحها بكل دقة معلمون أفاضل منذ عشرات أو مئات السنين، إذ يرى ذات هذه الأحداث تتحقق أمامه في أيامنا هذه بالبرهان والدليل.

## تعريف العولمة:

### ماهي العولمة؟

على الرغم من كل الاهتمام العالمي بهذه الظاهرة، إلا أنه لم يجرؤ أحد بعد على وضع تعريف محدد لها، فالظاهرة في طور البروز والانتشار، وكثيرون يراقبونها ويصفونها ويساهمون في التنظير لها، إلا أنه لتشعبها،

وأيضاً لحداثتها، لم يقوَ أحد بعد على أن يضع تعريفاً نهائياً لها. إلا أن كل المنظرين لها، وعلى الرغم من اختلافهم من جهة آثارها، اتفقوا على أن العولمة ليست هي الآتي*:

*ليست شعاراً من الشعارات السياسية أو الفكرية الجديدة التي تبرز ثم سرعان ما تختفي.*

*وليست موضة فكرية عابرة لا جذور لها في الواقع.*

*وليست بدعة ابتدعتها عقول المفكرين والمنظرين لإلهاء الشعوب الكادحة.*

**إذاً ما هي؟**

الكلمة في اللغة الإنجليزية هي: *Globalization*، ولقد وردت هذه الكلمة لأول مرة في قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة سنة ١٩٩١، مما يؤكد أنها لم تكن معروفة من قبل التسعينات.

وإذا رجعنا لأساطين العلم الذين كتبوا عنها، وتأملنا شيئاً مما كتبوه، يمكننا أن نفهم إلى حد كبير ما هي العولمة. ومن أفضل ما قرأت:

١- بحث للدكتور عبد الخالق عبد الله، بقسم العلوم السياسية جامعة الإمارات، يقول في مقدمته ما يمكنني أن أعتبره أسهل تعريف لها؛ إذ يقول:

**"إن موجة العولمة - وهي حركة دمج العالم اقتصاديا وثقافيا وربما سياسيا - أخذت تزحف بقوة إلى كل المجتمعات، وتتجه نحو كل الثقافات، وتتغلغل إلى كل الاقتصادات، وتربط كل زاوية من زوايا العالم القريبة والبعيدة. ولقد كانت حركة دمج العالم موجودة من قبل، بيد أن هذه الحركة أخذت تتسارع خلال التسعينات بشكل خاص، مستمدة حيويتها من الثورة العلمية والتكنولوجية**

---

*داني رودريك، المعقول وغير المعقول في الجدل الدائر حول العولمة – الثقافة العالمية نوفمبر ١٩٩٧.

**الراهنـة، ومـن التطـورات المدهشـة في وسـائل الاتصـالات والمعلومـات الـتي تقـود الطريـق إلى المسـتقبل. كـل ذلـك أدى ويـؤدي ليس إلى دمـج العـالم فحسـب، بـل انكماشـه يومـا بعـد يـوم، كمـا أن أفـراده ودولـه وثقافاتـه ومجتمعاتـه وحتـى اقتصاداته هـي اليـوم أكـثر ترابطـا وتداخـلا، حيـث سيصبـح مـن الممكـن قريبـا الحديث عن اقتصاد عالمي واحد، مجتمع عالمي واحد ونظام سياسي عالمي واحد" (عالم الفكر ديسمبر ١٩٩٩).**

٢- رونالد روبرتسون، أشهر من كتب عن العولمـة وكتابـه المشـهور *Globalization 1992، Sage London*:

**"العولمة ليست فقط اتجاها تاريخيا نحو انكمـاش العالم وتوحـده زمانيـا ومكانيـا، بل الأهم هو زيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا التوحد، فلا شك أن سكان العـالم اليوم هم أكثر وعيـا بعالميتـهم، وهـذا الوعـي يسمح بتأسـيس العـالم علـى أسـس جديدة تنطلق من المجال العـالمي وليـس مـن المجال المحلـي وتسـتند إلى أن العالم وحدة واحدة".**

٣- مالكوم واترز مؤلف كتـاب العولمـة *Malcolm Waters 1995 Globalization, routledge, London*:

**"العولمة هي كل المسـتجدات الـتي تسـعى، بقصـد أو مـن دون قصـد، إلى دمـج سـكان العالم في مجتمـع عـالمي واحـد، ورغـم أن هـذه المستجدات ليسـت متجانسـة، إلا أن محصلتها النهائية هي خلق المجتمع العالمي الواحد حيث يكون العالم بأسره هدفا لأي نشاط اقتصادي او ثقافي او سياسي".**

٤- كينشي أومـاي مؤلـف كتاب عالم بلا حدود *Kenchi Ohmae 1990 The Borderless World، Fontana، N.Y.*:

**"العولمة تتضمن بروز مجتمع عالمي واحد بثقافة عالمية واحدة وقيام حكومة عالمية واحدة، هذه هي النتيجة النهائية لحركة إلغاء الحدود أي العولمة التي قد بدأت، بيد أنها لم تصل إلى نهايتها حتى الآن".**

هذه هي خلاصة كتابات علماء يعتبرها أهل الفكر من الكلاسيكيات والمراجع في هذا الأمر، إذ أن هؤلاء الكتاب، هم أول وأشهر من كتب عن العولمة. والخلاصة من التعريفات هي أن: العولمة عملية توحيد العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، ولا تنسَ أن المفهوم الثقافي عند أهل العلم يحوي داخله الدين.

أما من وجهة نظر دارس الكتاب المقدس يمكننا القول أن:-

***العولمة*: هي عملية بناء برج بابل من جديد، هذا الذي عندما شرعوا في بنائه، كان غرضهم توحيد سكان الأرض، لئلا يتبددوا، فقالوا «هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض» (تكوين١١: ٤). أي أن العولمة فكرة قديمة بدأت تقريباً في القرن العشرين قبل الميلاد، وعادت للظهور في القرن العشرين بعد الميلاد. ولا تنسَ أن هذه الوحدة البابلية انتهت بالقضاء الإلهي، تماماً كما سيحدث أيضاً مع هذه الوحدة الحديثة والعصرية.**

ومنذ أن تشتت البشر بعد برج بابل، ولم يستطيعوا إكماله، لم تبرح هذه الفكرة عن خيالهم، بل ظلت تبرز بين الحين والآخر في صور تنفيذية واقعية على أيدي الأباطرة والملوك الاستعماريين، إلا أنها كانت دائماً تنتهي بالفشل.

ولقد غنّى مطرب فريق البيتلز السابق "چون لينون" أغنية بعنوان: "تخيل". كان يطلب فيها من الناس أن يتخيلوا زمناً حيث لا توجد فيه دول

ولا ديانات، لا سماء ولا جحيم، ويصبح العالم كله بلداً واحد، ويعلق "بات روبرتسون" المعلق التليفزيوني المسيحي المعروف في أمريكا، وصاحب إحدى دور النشر الكبيرة، على هذه الأغنية فيقول: **"إن حلم لينون هو أن يتبنى العالم مذهب المتعة، حيث تكون اللذة هي الشيء الوحيد الهام في الحياة، وأن يخلو العالم من الإيمان والدين والاعتزاز بالقوميات، وأن لا تكون في العالم دول ذات سيادة،وأن تكون هناك حكومة عالمية واحدة"** *.

ولقد كان هتلر يصبو إلى نظام عالمي جديد يحكم العالم كله، ويكون هو بالطبع على رأسه.

وفي إعلان حقوق الإنسان الثاني عام ١٩٧٢ تجد هذه العبارات: **"إننا نأسف بشدة لتقسيم الجنس البشري على اسس قومية. لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السيادة القومية، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية".**

ولا يخفى علينا أن حركة العصر الجديد "*New Age*" تسعى جاهدة لإحلال ديانتها محل كل الديانات القائمة. ويقول أحد قادتها وهو بنيامين كريم* **"ماهي الخطة؟ إنها تشمل إحلال حكومة عالمية جديدة وديانة عالمية جديدة".**

## ما هي قوى العولمة؟

هذا سؤال هام لابد أن يطرحه الذهن، ومن الممكن أن يكون في صورة أكثر وضوحا إذا وضعناه كالآتي: ما هي القوى التي أدت إلى حدوث مثل

---

*من كتاب النظام العالمي الجديد لمؤلفه Pat Robertson وترجمه مجدي منير.

هذا التداخل بين العالمي والمحلي؟ ما هي العوامل التي تعمل على إلغاء الحدود بين الداخل والخارج؟ وما هي التطورات التي جعلت عالم التسعينات في نهاية القرن العشرين عالماً بلا حدود؟ وما هي المستجدات التي أدت وساهمت في تقلص المسافات واختزال الزمان والمكان وانكماش العالم وزيادة الوعي بعالمية العالم؟

والإجابة يمكنني أن أراها - شخصياً - من وجهتين: وجهة ظاهرية يراها المثقفون الكبار، ووجهة خفية نراها نحن في نور كلمة الله.

**أولاً: الوجهة الظاهرية:**

يرون أن العولمة ترجع للعناصر الآتية:

١- **الثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة:** والتي تكتسح العالم منذ بداية التسعينات، تعتبر هي القوة الأساسية، وليست بالضرورة هي الوحيدة، المسئولة عن بروز العولمة، إلا أن هذه الثورة التكنولوچية في وسائل الاتصالات، والمتمثلة في الكابلات الضوئية، والفاكسات، ومحطات الإذاعة، والقنوات التلفزيونية الأرضية، ومن خلال الأقمار الصناعية والتي يصل عددها إلى حوالي ٢٠٠٠ قمر، هذا بالإضافة إلى العملاق الإلكتروني الجديد الذي يوحد العالم: الإنترنت؛ هي التي سهلت وعجّلت حركة الأفراد ورأس المال والسلع والخدمات والمعلومات، مما جعل العالم أكثر اندماجاً ووحدة.

قال واحد*: "**عندما تصل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أرجاء المعمورة بسرعة الضوء، تلغى فكرة المكان ويُلغى مفهوم الزمان، وعندما تستطيع الإنترنت**

---

* د. عبد الخالق عبد الله.

**أن تجعل التواصل بين الأفراد يتم بالصوت والصورة وبسرعة الزمن الحقيقي الذي يستغرقه التواصل وجهاً لوجه، فكيف لا يكون العالم قد توحد؟".**

٢- **انتشار أفرع الشركات عابرة القارات:** لقد تضخمت، في العقود الأخيرة من القرن العشرين، رؤوس أموال بعض الشركات، لحدود لم يكن يتصورها عقل؛ فصارت عابرة للقارات، وفروعها في عشرات الدول، مما جعل العالم يتوحد فيما يأكل وفيما يلبس، فعلى سبيل المثال ما يأكله الرجل الأمريكي من وجبات سريعة في "بيفرلي هيلز" في كاليفورنيا، هو نفسه ما يأكله الرجل المصري في أحد شوارع شبرا، وما يشاهده الطفل الأمريكي من برامج تليفزيونية في منزله الفاخر، يشاهده طفل هندي في كوخه المتداعي.

٣- التطور المذهل في تقنية وحركة الطيران، بالإضافة إلى بروز رغبة جامحة عند البشر للسفر والتجوال، جعل الناس يتلاحمون في شتى بقاع الأرض ويتوحدون.

**ثانياً: الوجهة الخفية**

والتي نراها نحن في نور كلمة الله.

يمكنني القول إن هذه العوامل الثلاثة السابق ذكرها، لعبت دوراً عظيماً في التعجيل ببروز العولمة، لكنها لا تجيب لنا عن سؤالين هامين ألا وهما:

*١- لماذا لم يخلو عصر من عصور التاريخ البشري السابقة من حلم توحيد العالم، بل وقيام عدة محاولات لتحقيق هذا الحلم، تارة بالقوة وتارة بالسياسة؟*

*٢- لماذا هذا الاندفاع الرهيب من قبل قادة العالم ومديري حركته في*

*عصرنا الحاضر نحو العولمة، بل وسحقهم لأي محاولة تعوق مسيرتها؟*

لذلك أرى أن هناك جانباً آخر يخفى على المفكرين والمنظرين للعولمة، لكنه لا يخفى على دارس الكتاب المقدس، وهو يتمثل في شيئين:

**أولاً: من جهة عدم خلو التاريخ من حلم الوحدة:**

العولمة حلم قديم من أيام برج بابل الذي لم يكتمل:

منذ أن انفصل الإنسان عن الله، عرف الخوف والشعور بالعجز طريقهما إلى قلبه، وهذا ما نراه في تكوين٣. إلا أننا في تكوين ٤ نرى الإنسان، بدلاً من اللجوء لله والتصالح معه بالطريقة العادلة والتي تعطي لله حقوقه، أي عن طريق الذبيحة، وهذا ما فعله هابيل، نراه - مع الأسف - يلجأ للتدين ليريح ضميره واهماً بأنه يرضي الله، بينما هو في الحقيقة يرضي نفسه؛ هذا ما نراه في قايين. وبالطبع لم يكن ممكناً أن يقبل الله هذا الخداع، وكانت النتيجة أنه خرج نهائياً مطروداً من محضر الله، فتعمق فيه أكثر شعوره بالخوف والعجز بل والضياع أيضاً، يقول قايين للرب: «إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض» (تكوين ٤: ١٤). ولم يجد وسيلة يخفف بها من وطأة هذا الشعور، والناتج عن انفصاله عن الله، أفضل من أن يبني مدينة ويدعوها باسم ابنه حنوك، فقد ظن أن اتحاده مع بقية البشر المنفصلين عن الله نظيره، والعيشة معاً في المدينة سيشعره بالأمان، وأن إطلاق اسم الابن عليها سيشعره بالخلود والبقاء؛ لكن هيهات، فالمدينة بأسوارها العالية لم تبدد شعوره بالخوف، وضجيج وصخب ازدحامها لم يبدد شعوره بالوحدة، واختراع بنوه للآلات موسيقية مختلفة، لكنها لم تبدد شعوره بالفراغ، وأمام ضربات الموت

القاسية انهار كل شعور وهمي بالبقاء والخلود.

وبعد الطوفان ظل أيضاً حلم الوحدة في مدينة كبيرة يسيطر على الإنسان، ظناً منه أنها ستنجح بكبرها وضخامتها أن تبدد شعوره بصغره وعجزه، وفي حماقة وجهل، كما نقرأ في تكوين ١٠،١١، أمعن بنو البشر في تمردهم على الله، فقرروا ليس فقط بناء مدينة، لكن برج أيضاً يمكنهم من دراسة الأجرام السماوية، كي يعبدوها بدلاً من عبادة الله، إمعاناً في إغاظة الله وللتعمق في البعد والانفصال عنه، واسمعهم وهم يعبرون عن غرض بنائهم لهذه المدينة وهذا البرج فيقولون: «هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً **لئلا نتبدد** على وجه كل الأرض» (تكوين١١: ٤).

من هذا يتضح أن الشعور بالخوف والضعف لم يفارق البشر منذ الانفصال عن الله، وفي نفس الوقت ظل الحلم بالوحدة لطرد هذا الشعور، يداعب خيالهم منذ سقوطهم، ولقد حاولوا تحقيقه مرات عديدة، تارة من خلال الدين، وتارة بالقوة والحرب، وتارة بالسياسة، وتارة بالتكتلات الاقتصادية، إلا أنها باءت جميعها بالفشل، حيث لم تنجح أي محاولة في توحيد كل سكان الأرض، حتى جاءت هذه المحاولة الأخيرة، ألا وهي العولمة لتكون هي آخر محاولة يقومون بها، وستنتهي بالقضاء الإلهي الأخير والذي بعده سيقيم المسيح مملكته على الأرض.

**ثانياً: من جهة الحماس الشديد عند قادة العالم تجاه العولمة:**

اليد الخفية لرئيس هذا العالم تهيئ المسرح للفصل الأخير.

لقد اقترب جداً مجيء المسيح ليملك على الأرض، ولقد أخبرتنا كلمة الله أن قبيل مجيئه مباشرة، سيظهر في أوروبا دكتاتور مرعب سيكون هو الرئيس

لأوروبا الموحدة، والتي هي في الحقيقة الإمبراطورية الرومانية القديمة العائدة للحياة، هذا الشخص يشار إليه في سفر الرؤيا بالوحش (رؤيا١٣:١) ويشار إليه في سفر دانيآل بالقرن الصغير (دانيآل ٨:٧)، وسيحاول هذا الشخص فرض سيطرته على العالم كله سياسيا واقتصاديا، وسينجح نجاحا كبيرا، ولا سيما على الصعيد التجاري، فلن يستطيع أحد أن يبيع أو يشتري إلا تحت سيطرته (رؤيا١٣:١٧)، إذ أنه سيسيطر على كل التجارة العالمية، وفي اعتقادي أن هذه النبوة لا يمكن أن تتم بدون العولمة، فمن عشر سنوات فقط، أي قبل وجود منظمة التجارة العالمية والتي تكونت في سنة ١٩٩٦، لم يكن ممكنا أبدا لرجل واحد أن يسيطر على كل تجارة العالم، وبدون العولمة ما كان هناك وجود لمثل هذه المنظمة الخطيرة، والتي، كما يقول الخبراء، إن من يسيطر عليها سيسيطر على كل التجارة العالمية، لذا أرى ببساطة أنه إن كنا نؤمن أن إبليس هو رئيس هذا العالم كما أعلن الرب يسوع في يوحنا١٦:١١، فهذا الرئيس يبغي إحكام قبضته على العالم من خلال هذا الدكتاتور المرعب، والذي سيظهر بعد اختطاف الكنيسة، وقبل أن يصعد الشيطان هذا الشخص من الهاوية (رؤيا١١:٧)، ويبرزه ليمسك بزمام ولجام العالم، لابد من تهيئة العالم لقبوله وذلك من خلال توحيده سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ليكون العالم بمثابة فرس واحد، له لجام واحد، يمكن للشيطان أن يضعه في يد رجل واحد، ينفذ سياسة هذا الرئيس الواحد، الذي هو إبليس. إذا فهذا الحماس والاندفاع عند قادة العالم مصدره رئيس هذا العالم.

## العولمة ومبتدأ الأوجاع

والآن نأتي لسؤال مهم: كيف تؤكد حالة العالم المعولم (بسبب العولمة) قرب

مجيء الرب؟ أو كيف نشتم رائحة عالم مبتدأ الأوجاع* في أيامنا هذه؟

سنجيب عن هذا السؤال بالتفصيل طبقا لأنواع العولمة المختلفة.

**العولمة أنواع**:

نتيجة لاستفحال الظاهرة، وانتشارها بشكل مرعب مس جميع أشكال الحياة، لم يعد هناك عولمة واحدة، بل أصبح هناك عدة عولمات، ستؤدي جميعها إلى تهيئة العالم لسيطرة الوحش. إلا أن أبرزها هم ثلاث: فهناك العولمة السياسية، وهي تبرز بوضوح شديد في أوروبا حيث اتحدت معظم دولها معاً، إلا أنها بدأت تظهر أيضاً في بقية أنحاء العالم من خلال محاولة إقامة التكتلات السياسية. وهناك العولمة الاقتصادية، وهي أبرز الكل وضوحاً واكتمالاً. وهناك أيضاً العولمة الثقافية والتي فرضتها وسائل الإعلام وثورة الاتصالات.

ولكل واحدة من هذه العولمات مخاطر مرعبة على البشر، إلا أن هذه المخاطر تحمل، في ذات الوقت، تأكيدات قوية أن فتح الختوم السبعة† قد اقترب جداً، هذه الختوم التي عندما تُفتح ستضطرب الأرض، وتهتز بشدة تحت أقدام المُغتصِب، وعندما يُكمل فتحها، سيُعلن في السماء أن لحظة

---

* مبتدأ الأوجاع: وصف أطلقه المسيح نفسه على الضيقات التي ستحل على الأرض بعد اختطاف الكنيسة، والتي ستستمر لفترة يمكن حسابها من سفر الرؤيا ومن نبوة دانيآل بـ ٣,٥ سنة، ويعقبها فترة أخرى أشد عنفاً وضيقاً، هي الضيقة العظيمة وتصل مدتها أيضاً إلى ٣,٥ سنة، ليكون مجموعها سبع سنوات، هي الأسبوع الأخير من أسابيع دانيآل (انظر متى٢٤: ٨،٩، دانيآل٩: ٢٧، رؤيا١١: ٢،٣؛ ١٢: ٦،١٤؛ ١٣: ٥).

† أنظر الفصل الرابع عشر

استرداد المُغتصَب قد حانت، ولا بد أن يرجع المُلك للمالك الحقيقي، فترجع الأرض لله، ليولي عليها الحاكم الوحيد المستحق أن يأخذ سفر ملكيتها لأنه اشتراها بدمه (رؤيا٥ : ١-٩).

وربما من المفيد أن نتوقف قليلاً عند كل نوع من هذه العولمات لنرى كيف يحدث؟ وما هي علاقته بفترة ما بعد اختطاف الكنيسة.

# الفصل الرابع

# العولمة السياسية

«وإذا زلزلة عظيمة حدثت... ونجوم السماء سقطت إلى الأرض...
وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما» (رؤيا٦: ١٢-١٤).

المقصود بالعولمة السياسية هو ببساطة تقلُّص دور الدول في رسم السياسات لشعوبها، وسنّ التشريعات، والتحكم في الوضع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي لهذه الشعوب، هذا التقلص سيكون لحساب **حكومة عالمية واحدة** ستبرز عن قريب.

يقول الدكتور عبد الخالق عبد الله، في بحثه الشيق، هذه العبارة التي أنقلها بالنص: **"لقد أصبحت نهاية سيادة الدولة، وبروز الحكومة العالمية ممكناً أكثر من أي وقت آخر في ظل العولمة"**.

وهنا أتوقف لأسأل سؤالين:

أولاً: هل يتجه العالم فعلاً نحو حكومة عالمية واحدة، تكون جاهزة في المستقبل ليرأسها الوحش؟ وإن كان هكذا فكيف سيتم هذا؟

ثانياً: ما هي مخاطر تقلص سلطة الدولة لحساب هذه الحكومة العالمية؟

## أولاً: كيف يتجه العالم نحو حكومة عالمية واحدة؟

هناك عدة عوامل تدفع العالم نحو الحكومة العالمية الواحدة وهي مختلفة في طبيعتها، لكنها تتفق في أنها كلها تؤدي إلى هذا الغرض الواحد، ألا وهو وحدة العالم سياسياً، وتتفق أيضاً في أنه ليس في يد أحد الآن السيطرة عليها، بل قد انطلقت هذه العوامل من قمقمها لتدفع الدول دفعاً للتخلي عن سيادتها لصالح حكومة عالمية واحدة، وإليك بعض منها:-

### ١- تشابك المصالح بين كل دول العالم

لقد تداخلت وتشابكت المصالح بين الدول لحد رهيب، صار الرجوع عنه شبه مستحيل، حتى أن الدولة التي تريد أن تحتفظ باستقلاليتها فتحاول أن تخرج عن الإجماع العالمي، تلفظ من المجتمع الدولي لفظ النواة، وتكون قد حكمت على نفسها بالانهيار التام في شتى مجالات الحياة.

يقول "ريتشارد فولك" في كتابه "نحو سياسة عالمية جديدة"(*Richard Falk Toward a new Global Politics , Cambridge 1995*):

**"إن ما يجري على الصعيد السياسي يتركز أساسا حول العالم السياسي الواحد ، فالمجال السياسي المحلي يتراجع أمام المجال السياسي العالمي، والدولة التي كانت دائما الوحدة الارتكازية لكل النشاطات والقرارات والتشريعات؛ أصبحت الآن مجرد وحدة ضمن شبكة من العلاقات والوحدات الكثيرة في عالم يزداد انكماشا وترابطا، ولم تعد الدولة هي مركز السياسة في عالم العولمة، ولقد تحققت المقولة إن السياسة في كل أرجاء العالم أصبحت مرتبطة بالسياسة في كل أرجاء العالم ، فالقرارات التي تتخذ في عاصمة من العواصم العالمية؛ سرعان ما تنتشر انتشارا سريعا إلى كل العواصم، وأي تشريع تسنه دولة ما؛ سرعان ما يستأثر على اهتمام جميع الدول لارتباط المصالح ارتباطا شديدا".**

### ٢-ظهور التكتلات التي تنافس الدولة

لقد برزت، في خلال فترة التسعينات، مجموعة من القوى العالمية، والتكتلات الإقليمية، التي تنافس سلطة الدولة في المجال السياسي، ولا سيما في صنع القرارات، وأقوى مثال لهذا هو السوق الأوروبية المشتركة، والتي تطورت أخيراً لدرجة مذهلة، حتى أن دول أوروبا العظمى كألمانيا وفرنسا وبريطانيا صارت اليوم قاب قوسين أو أدنى لتكون مجرد ولايات خاضعة لقوة عظمى كبيرة هي الاتحاد الأوروبي. ولك أن تتخيل-على سبيل المثال - أن السياسات النقدية والمالية اليوم في أي من هذه الدول العظمى لا يرسمها البنك المركزي في هذه الدول، ولا حتى برلماناتها، لكن تخضع هذه الدول بكل هيبتها للبنك المركزي الأوروبي، والبرلمان الأوروبي. يقول واحد: "إن النموذج الاندماجي الأوروبي يقوم أساساً على أن تتخلى الدول الأوروبية طواعية عن بعض مظاهر السيادة لصالح كيان إقليمي يتجه نحو الوحدة لتكوين الولايات المتحدة الأوروبية".

وبالطبع كون هذا النموذج الأوروبي هو الأول والأوضح والأقوى في مجال الاتجاه نحو الحكومة العالمية الواحدة - بشهادة الخبراء - إنما يؤكد نبوة الكتاب، التي أوضحت أن الإمبراطورية الرومانية العائدة للحياة، ستكون من القوة بحيث توجّه العالم نحو العولمة السياسية، وتكوين الحكومة العالمية التي ستستأثر هي برئاستها، ثم يرأسها هي نفسها الوحش.

### ٣- عولمة الاقتصاد والثقافة

من الواضح أيضاً أن الاتجاه العالمي المتزايد نحو بروز عالم بلا حدود اقتصادية، وهو الأمر الذي قطع شوطاً كبيراً على أرض الواقع، وأيضاً الاتجاه

المتزايد نحو عالم بلا حدود ثقافية؛ يخلقان معطيات مادية ومعنوية تؤهل لقيام عالم بلا حدود سياسية. كما أن الانتقال الحر السريع للسلع والخدمات، وكذلك الانتقال الحر السريع للأفكار والمواد الإعلامية، أدى إلى انحسار نسبي للسيادة المطلقة للدولة، بل ربما خلق انطباعاً - كما يقول نفس المصدر السابق - بأن الدولة لم تعد ضرورية وأنها قد فقدت أهميتها.

**٤-ظهور المنظمات العالمية وتصاعد قوتها**

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة عدة منظمات عالمية لها سطوة رهيبة على كل دول العالم كبيرها وصغيرها، لا فرق في هذا بين الولايات المتحدة الأمريكية وموزمبيق مثلاً في حتمية الخضوع لها، كمنظمة التجارة العالمية والتي تأسست عام ١٩٩٦، لتشرف إشرافاً كاملاً على النشاط التجاري العالمي، وفي نفس الوقت قد تنامى وتصاعد دور منظمات أخرى كانت موجودة من قبل، كصندوق النقد الدولي الذي يشرف على السياسات المالية للدول.

كذلك على الصعيد الاجتماعي، هناك المنظمات الاجتماعية غير الحكومية، والتي تلعب دوراً كبيراً في المؤتمرات العالمية، كمنظمات حقوق الإنسان، والبيئة، والسكان، والعفو الدولية، والمنظمات النسائية العالمية، كل هذه تؤثر على الدولة وتحدّ من سيادتها، وأحياناً تفرض على الدول أشياء تتعارض مع مصالحها وسياستها، بل وربما أيضاً تتعارض مع ثقافاتها وقيمها.

**٥- المشاكل العالمية**

برزت في الآونة الأخيرة مجموعة من المشاكل التي لا تمس دولة واحدة بل تمس العالم كله، مما يجعل من تضافر جهود كل الدول حتمية ضرورية، وعندئذ يصبح خضوع الدولة للمجتمع العالمي ضرورة حتمية

أيضاً. مثل قضايا التسلح النووي، والبيئة، والتصحر، والانفجار السكاني؛ فالحياة على الكرة الأرضية لا يمكنها أن تتحمل ٦مليارات نسمة سيصبحون ١٠ مليارات في غضون السنوات القليلة القادمة. كذلك قضية الفقر والفقراء، فالعالم اليوم هو أكثر فقراً من أي وقت مضى في التاريخ البشري كله. وهناك مشكلة حقوق الإنسان حيث يعيش حوالي ملياران من سكان الأرض في ظل أنظمة قمعية، تمارس درجات عالية من القمع، ويعيش ملياران آخران لا يتمتعون بكل الحريات. أضف إلى هذا مشكلات المخدرات والإرهاب والجريمة المنظمة. كل هذه المشاكل تتطلب تشريعات وسياسات ومؤسسات عالمية، إذ أن الدول منفردة لا تقوى على مواجهتها وتطلب مساعدة هذه الهيئات، كل هذا يعني أن الدولة لم تعد تتمتع بالسيادة المطلقة، وأن الحاجة ملّحة إلى مؤسسات عالمية تدير العلاقات بين القوى العالمية لتعالج هذه القضايا العالمية. ولا شك أن هذا يؤدي في النهاية إلى بروز الحكم العالمي، والذي يتضمن شبكة من المؤسسات العالمية التي تضم الدول والمنظمات غير الحكومية، والشركات عابرة القارات، والهيئات الدولية كالأمم المتحدة؛ وهذه الشبكة تؤدي في النهاية إلى تقلص دور الدولة وقيام حكومة عالمية واحدة.

هذه العوامل تجيب عن السؤال: كيف يتجه العالم نحو حكومة عالمية واحدة؟

## ثانياً: ما هي مخاطر العولمة السياسية؟

يشهد كل الخبراء أن هذه العولمة السياسية ستؤدي إلى تقلص سيادة الدولة، وعندما تنحسر سلطة الدولة، لك أن تتخيل أية فوضى يمكن أن تعم العالم. وهذا ما سيحدث حتماً. ولقد جرى التأكيد على هذا النفوذ المتآكل للدولة القومية

من قبل تلك المجموعة الكبيرة من الكتب الصادرة حديثاً، والتي تعتبر الأشهر على ساحة الثقافة العميقة الآن، فها هو "كينشي أوماي" في كتابه "عالم بلا حدود" يرى أن السلطة المخوّلة للدول القومية تنتقل الآن إلى المنظمات الإقليمية، وها هو "صموئيل هنتجتون" صاحب الكتاب الشهير والذي أثار ضجة كبرى "صدام الحضارات"، يرى أن الحضارة تحل الآن محل الدولة بوصفها الوحدة الأساسية في السياسة العالمية، في حين يعتقد كل من "فرنسيس فوكوياما" و"بنيامين باربر" أن القوى الاقتصادية العالمية تخلق الآن ثقافة عالمية متجانسة التكوين، مما سيجعل الدولة شيئاً زائداً لا ضرورة له.

أما "روبرت كابلان" فيقول إن التغيرات الديموجرافية والبيئية سوف تؤدي إلى نهاية الدولة القومية **وبداية الفوضى الشاملة**. وأمام هذه العبارة الخطيرة نتذكر أقوال الله:

يقول الكتاب عند فتح الختم السادس: «ونظرت لما فُتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم، ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة، والسماء انفلقت كدرج ملتف، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما» (رؤيا٦: ١٢-١٤).

وبالطبع لا يمكن أن يفهم هذا الكلام حرفياً*، لكن المقصود به هو تزحزُح السلطات الحاكمة. نعم، إن تقلص سلطة الدولة شيء مرعب لا يمكن أن يُتوقَع من ورائه إلا حدوث الفوضى كما يقول "روبرت كابلان".

---

*أنظر كتب شرح سفر الرؤيا لكل من رشاد فكري، ناشد حنا، يوسف رياض؛ من مطبوعات مكتبة الإخوة.

والأمر الأخطر من هذا، وهو الأهم، أن هذه الفوضى، طبقاً لتوقعات الخبراء، ستهيئ العالم لقبول دكتاتور من الجحيم أو من السماء، بشرياً كان أم شيطانياً، لينقذهم منها، بل وستلزم العالم بقبوله متى ظهر، وعندئذ يتم كلام الكتاب عن الوحش «وأعطي سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمة»، بل يقول أيضاً «فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياه الخروف الذي ذبح» (رؤيا١٣: ٧،٨).

يقول واحد من المثقفين* تحت عنوان العولمة سياسياً: "**قد يبدو لأول وهلة أن العولمة ظاهرة منطقية منسقة، لكن إمعان النظر فيما تفرزه من قضايا متنوعة يجعلنا نلمس التناقض الحاد، فإلى جانب الاتحاد والتكامل وسقوط الجدران وانهيار الحدود، نجد جوانب أخرى تتزامن مع هذه السمات الإيجابية، وأعني ظاهرة التفكك والتشظي، والحروب الأهلية ذات الطابع العرقي أو الطائفي، وتصاعد قوى اليمين المتطرف، وانتشار العنف والإرهاب الدولي، وعصابات المافيا العابرة الحدود. ويكفي أن نذكر هنا الرقم المخيف التالي: ففي ولاية كاليفورنيا التي تحتل بمفردها المرتبة السابعة في قائمة القوى الاقتصادية العالمية، بلغ فيها الإنفاق على السجون ما يساوي المجموع الكلي لميزانية التعليم، وهناك ٢٨ مليون أمريكي، أي ما يزيد على عشر السكان، قد حصنوا أنفسهم في أبنية وأحياء سكنية محروسة، ومن هنا فليس بالأمر الغريب أن ينفق المواطنون الأمريكيون على حراسهم المسلحين الخصوصيين ضعف ما تنفقه الدولة على الشرطة**".

ثم يضيف هذه العبارات الهامة، ويقول: "**إن هذه البوادر قد جعلت الدارسين يتوقعون عودة الصراعات السياسية والاجتماعية التي عرفتها أوروبا في**

---

*د. الحبيب الجنحاني – كلية العلوم الإنسانية تونس.

**العشرينات وقد مهدت لوصول الفاشية للحكم في إيطاليا والنازية في ألمانيا"** (مجلة عالم الفكر - ديسمبر ٩٩).

من هذا يتضح لنا أن العولمة السياسية ستؤدي إلى :

أولاً: فوضى تعم العالم في ضوء تقلص سلطة الدولة وعدم احترام القانون.

ثانياً: تهيئة الأجواء العالمية لظهور دكتاتور.

والسؤال المهم الآن: هل يشعر مثقفو العالم وسياسيوه فعلاً بأن الفوضى عتيدة أن تعمّ العالم؟ دعني أذكر لك بعض ما يقولونه في هذا الصدد:

يقول "پـول فـاليري": **"النظام والفوضى يهددان العالم، فنظام الإحاطة الشديدة، الذي يحوّل الإنسان إلى رقم مكشوف من الأرقام، فيفقد حريته الشخصية، وتنكشف جميع أسراره، ويصبح محاصَرا بعيون سرية ترصد جميع تحركاته في العمل والشارع وفي المنزل، يقظاً أو نائماً، منفردا أو مرافقاً، وما شكل الوقفة وطبيعتها، كل هذا يلتقي ويتزامن مع فوضى التطرف والعنف وسقوط الدول وتشظي البلدان وانتشار فئات المهمّشين والأوبئة الفتاكة والتدهور البيئي"**.

نظام وفوضى سمتان بارزتان لظاهرة العولمة، نظام تحدده بدقة التقنيات المذهلة، وفوضى؛ هي فوضى الحياة اليومية في داخل أحياء الفقر في المدن الأمريكية العملاقة أو ضواحي باريس".

ويقول د.الحبيب الجنحاني: **"إن البعض يتحدث الآن عن ما اسموه حضارة الفوضى متسائلين: هل العالم يسير نحو حضارة الفوضى؟ إذ أنهم يرون ازدياد البطالة وانعدام الأمن وتدهور الوضع البيئي وتفشي الأمراض الفتاكة المعدية وانتشار ظاهرة العنف، كل هذه الفوضى في ظل تقدم عصري يجعل الناس تعيش نظاماً مالياً وتقنياً صارماً"**.

ويقول واحد آخر من مثقفي العالم الكبار، وهو أحد مؤسسي نادي روما "ألكسندر كينج" : "**إننا وسط مخاض طويل وشاق، سيؤدي بشكل أو بآخر إلى ميلاد مجتمع معولم، لا نستطيع الآن أن نتكهن بهيكليته المحتملة**".

أكتفي بهذا متسائلاً: أليس هذا النظام المذهل هو الذي سيمكّن الوحش من مراقبة كل إنسان إن كان سيسجد لصورته أم لا؟ وهو الذي سيمكّنه من التحكم في حياة البشر من جهة البيع والشراء، أي مختلف أوجه الحياة اليومية؟ وأليست هذه الفوضى المذهلة هي طابع فترة الضيقة العظيمة، بل وحتى مبتدأ الأوجاع؟

وأختم من جهة مخاطر العولمة السياسية، مؤكّداً على أن الفوضى حتماً ستُبرز دكتاتوراً كما حدث في أوروبا في العشرينات، بما نشرته جريدة النهار اللبنانية منذ سنوات عديدة، وهو مقال أعتبره من أغرب ما يمكن أن نقرأه على صفحات جريدة، حيث نشرت في ٣١ أغسطس ١٩٧٩ – أي منذ أكثر من عشرين سنة – تصريحاً لرئيس مؤتمر السوق الأوروبية المشتركة، دكتور "هاتريك ألدمان" يقول: "**إننا بصدد مشروع إصلاحي عالمي هو الآن قيد الإعداد، لدرء خطر الفوضى العالمية، والمشروع هو عبارة عن حاسب آلي ضخم، مهمته الإشراف على كل تجارة العالم. كيف؟ بأن يمنح كل إنسان في العالم رقماً يستخدمه في مشترياته، هذا الرقم يوشم وشماً على جبين المرء أو على قفا يديه، ويمكن لآلة التثبت من الهوية أن تقرأ الرقم، والرقم يتكون من ثلاث مجموعات كل منها مؤلفة من ثلاث أرقام تكفي لترقيم كل سكان العالم ووضع أسرارهم وأمراضهم وكل المعلومات عنهم في حوزة هذا الكمبيوتر الذي لا يخطئ ولا ينسى**"، ثم يضيف: "**وليس هذا كل شيء، فالاتجاه مستمر نحو توحيد جميع الناس وإلغاء أسرارهم، بغية**

**القضاء على مقاومتـهم، وهـذا صادر عـن قناعـة زعمـاء السـوق بـأن النظـام في العـالم متوقف على ربط السلام والسياسة بنظام جديد للتجارة العالمية".**

كان "هنري سباك"، والد السوق الأوروبية المشـــتركة والأميــن العــام لمنظمة حلف شمال الأطلنطي، قد أعلن في إحدى خطبه: **"لا نريد لجانـا أخـرى في السوق، عندنا أكثر من الحاجة، الذي نريده هـو إنسـان يكـون مـن الضخامـة بحيـث يستطيع أن يكسبنا ولاء جميع الشعوب وينقذنا من التدهور الاقتصـادي الـذي نغـرق فيه، أرسلوا إلينا رجلاً مثل هذا، وسوف نرحب به سواء كان رباً أو شيطاناً!"**

# الفصل الخامس

# العولمة الاقتصادية

«فنظرت وإذا فرس أبيض، والجالس عليه معه قوس، وقد أعطي إكليلاً، وخرج غالباً ولكي يغلب... فنظرت وإذا فرس أسود، والجالس عليه معه ميزان في يده » (رؤيا٦: ٢،٥)

بعد أن توقفنا أمام العولمة السياسية، ورأينا كيف ستتمخض عن فوضى شاملة تهيئ العالم لقبول دكتاتور، كما حدث في أوروبا في العشرينات فظهر موسوليني وهتلر، كذلك سيظهر قريباً، في أوروبا أيضاً، أعظم دكتاتور لم يرَ العالم نظيره من قَبل، ألا وهو الوحش . وهو الذي يشير إليه الكتاب المقدس بالراكب على الفرس الأبيض عند فتح الختم الأول في رؤيا ٦، ومعه قوس بدون سهام، فهو سيحقق انتصارات بدون حروب، ذلك لأن انتصاراته اقتصادية في المقام الأول، ولهذا السبب سيعطونه الإكليل، كما يقول الكتاب، أي سيسلم له الكل زمام قيادة العالم.

لكن هنا يأتي هذا السؤال المهم: كيف سيتمكن هذا الدكتاتور الأوروبي، عند ظهوره، من السيطرة التجارية والاقتصادية على كل العالم؟

هذا ما تجيبنا عنه العولمة الاقتصادية، فإن كانت العولمة السياسية هي

التي ستبرز الوحش، فإن العولمة الاقتصادية هي التي ستمكنه من السيطرة على كل الأرض.

لقد أصبح من الواضح أن عصرنا الحاضر يختلف تماماً عن كل العصور السابقة من حيث مفهوم قوة الدولة، فالكلمة العليا فيه ليست للقوة العسكرية بل للقوة الاقتصادية، وأصبحت العلاقات بين الدول تعتمد في المقام الأول على المصالح الاقتصادية، مما كان له أكبر الأثر في سرعة بروز العولمة الاقتصادية، وصارت هي الأكثر اكتمالاً ونضوجاً من باقي العولمات.

يقول "مالكوم واترز" في كتابه *Globalization*: **"إن العالم الذي تشكل في التسعينات قد أصبح عالماً بلا حدود اقتصادية، فالأنظمة الاقتصادية المختلفة أصبحت متقاربة ومتداخلة ومؤثرة في بعضها البعض، ولم تعد هناك حدود وفواصل بينها، والنظام الاقتصادي العالمي هو اليوم نظام واحد تحكمه أسس عالمية مشتركة، وتديره مؤسسات وشركات عالمية ذات تأثير على كل الاقتصادات المحلية، أما الأسواق التجارية والمالية العالمية فإنها لم تعد موحدة أكثر من اي وقت فحسب، بل هي خارجة عن تحكم كل دول العالم بما في ذلك أكبرها وأكثرها غنى بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية"**.

لقد ذابت الأنظمة الاقتصادية للدول في نظام اقتصادي عالمي واحد، وما يهمنا في هذا المقام هو إثبات أن عولمة الاقتصاد ووحدته قد تمت فعلاً، وكيف أن حدوثها ضرورة حتمية للوحش، لكي يستطيع أن يكون له سيطرة اقتصادية على العالم كله، فكيف كان يمكن تحقيق نبوة الكتاب في رؤيا١٣: ١٦، ١٧ بدون العولمة، ولا سيما عولمة الاقتصاد؟ انظر ماذا يقول الكتاب عن هذه الشخصية الرهيبة : «ويجعل الجميع: الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد، تُصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع، إلا من له السِّمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه».

وسنحاول أيضاً أن نُظهر المخاطر المرعبة الناتجة عن عولمة الاقتصاد، والتي هي بالضبط ما تنبأ عنه الكتاب بخصوص فترة مبتدأ الأوجاع ثم فترة الضيقة العظيمة.

## كيف تمت عولمة الاقتصاد؟

هناك عدة عوامل هي أيضاً عوامل غير متجانسة، إلا أنها تعمل في تكامل مذهل للوصول للعولمة الكاملة للاقتصاد، وهذا يشعرنا من جديد باليد الشيطانية المحركة وراء هذه العوامل غير المتجانسة، لتهيئ العالم لقبول رجل الشيطان الأول، والذي سيمسك بزمام العالم في فترة الضيقة العظيمة، لكننا أيضاً نلحظ يد الله التي تسهر على كلمته لتجريها.

### أولاً: سيادة نموذج اقتصادي واحد:

لقد مرت البشرية المتحضرة بأنظمة اقتصادية كثيرة، تمخضت في النهاية عن نظامين كبيرين: النظام الرأسمالي، والذي أخذ به الغرب، والنظام الاشتراكي، والذي كان يتزعمه الاتحاد السوفيتي السابق. وفي فترة الخمسينات والستينات – أي ما بعد الحرب العالمية الثانية – كان الكثير من دول العالم في حيرة: أي النظامين يأخذ، إلا أنه في فترة السبعينات بدأ كثير من دول العالم يتحول رويداً رويداً إلى النظام الرأسمالي، حتى جاءت فترة الثمانينات والتي شهدت تدهوراً رهيباً في النظام الاشتراكي، إنتهت بأغرب وأعجب حادثة: انهيار الاتحاد السوفيتي، هذا السقوط الذي غيّر التاريخ والجغرافيا في لحظة، وأدى إلى تساقط دول أوروبا الشرقية تباعاً كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف، وبه سقط للأبد النظام الاشتراكي، لكي يعلن العالم الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، فوز النظام الرأسمالي

بالضربة القاضية. ومنذ بداية التسعينات، ابتدأ النظام الرأسمالي في التوحش والتعملق لدرجة لم يتصورها أحد، حتى أن الدول الصغيرة والفقيرة بدأت تسرع لتطبيق النظام الرأسمالي بكل مخاطره، خوفاً من أن تصير خارج المجتمع الدولي. وبدأ رجل الشارع يسمع ويعرف، بل وربما يستعمل أيضاً، تلك الكلمات التي كان يقصر استعمالها على الاقتصاديين، لكنها صارت الآن من مفردات الاستعمال اليومي مثل: الخصخصة، نظام السوق، الاستثمار الأجنبي، حرية رأس المال، البورصة، الأوراق المالية والأسهم، صناديق الاستثمار، وإلى آخر هذه التعبيرات. ولذا أصبحت كل دول العالم تقريباً تُحكم بنظام اقتصادي واحد، وهذا ما لم يشهده العالم من قبل.

**ثانياً: الشركات عابرة القارات**

في الوقت الذي نجح فيه الاقتصاد الرأسمالي في أن يسود على العالم كله، كانت هناك بعض الشركات، في تلك البلاد العريقة في الرأسمالية، قد تضخمت بشكل مرعب لتناطح رؤوس أموالها ميزانيات دول بأكملها، وهي التي تُسمى الشركات عابرة القارات. ومنذ بداية التسعينات، وهذه الشركات هي الماسكة بتلابيب الاقتصاد العالمي، فملياراتها العابرة للقارات بسرعة الضوء، تحدد أسعار الصرف الأجنبي وكذلك القوة الشرائية لهذا البلد أو ذاك، كذلك قيمة عملته إزاء باقي عملات العالم.

وهذه الشركات موزعة كالآتي: اليابان ٦٢، والولايات المتحدة الأمريكية ٥٣، ألمانيا ٢٣، فرنسا ١٩، بريطانيا ١١، سويسرا ٨، كوريا الجنوبية ٦، إيطاليا ٥، هولندا ٤. إلا أن هذه الشركات لها مائة وسبعين ألف فرع في جميع أصقاع المعمورة، ولكي ندرك قوة بعض هذه الشركات إليك هذه الأمثلة:

يفوق رقم معاملات "جنرال موتورز" ١٩٩٦ (١٧٠ مليار دولار) الدخل

القومي العام للدانمارك. ويفوق رقم معاملات "فورد" الدخل القومي لجنوب أفريقيا. ويفوق رقم معاملات "تيوتا" الدخل القومي للنرويج. بل لك أن تعلم أنه من بين أكبر مائة اقتصاد في العالم هناك واحد وخمسون ليست لبلدان بل لشركات غير قومية، وبينما لا تشغل أكبر ٢٠٠ شركة عالمية سوى ٠,٠٧% (سبعة من مائة في المائة) من القوى العاملة في العالم، فإنها تستحوذ على ٢٨% من النشاط الاقتصادي العالمي، وهناك ٥٠٠ شركة تستحوذ على ٧٠% من التجارة العالمية.

وساعد على المزيد من وجود هذه الشركات جنون الاندماج الذي انتاب كثيراً من الشركات العملاقة، ولا سيما ما حدث عام ١٩٩٨ الذي شهد على سبيل المثال اندماج ديملر وكرايسلر، وما زال مسلسل الاندماجات مستمر حتى الآن، ليصبح الإنتاج العالمي في النهاية في قبضة بضعة شركات. ولقد أصبحت هذه الشركات صورة دقيقة للعولمة، فهي ليس لها هوية أو جنسية، ولم تعد تنتمي لدولة محددة، ولا تعترف بموطن، ولا تؤمن بالولاء لأية جنسية، وهي ليس لها مقر واحد، ولا تتأثر بسياسات دولة من الدول، فمقرها الإداري في دولة، ومقرها التسويقي في دولة ثانية، ومقرها الهندسي والفني في دولة ثالثة، ومقرها الإنتاجي في دولة رابعة، ومقرها الإقليمي في دولة خامسة، ومقرها الدعائي في دولة سادسة، ومقرها التنفيذي في دولة سابعة، ويكفي أن تعلم، كمثال حي على هذا الانتشار، أن طائرة البوينج الأمريكية تصنع في ١٢ دولة، وأن ٦٠% من القوى العاملة لمصانع Sony (سوني) اليابانية موجودة خارج اليابان، وأن شركة "دايمر- كرايسلر" تنفق ما يقرب من ٢ مليون دولار يومياً فقط على تذاكر طيران مديريها وموظفيها في التنقل بين فروعها في مختلف البلدان!

ولقد أصبحت هذه الشركات - كما يقول د. الحبيب الجنحاني - من القوة للدرجة التي معها يحدد الليبراليون الجدد مهمة الدولة في عصر العولمة بأنها مضيفة للشركات المتعددة الجنسيات وما يقترن بالضيافة من كرم وترحيب وفرش البسط وغيرها من الخدمات، بل أصبح كثير من رؤساء الدول مجرد مندوبي تسويق لهذه الشركات، وأصبحت زيارات الرؤساء المتبادلة وفتح القصور لاستضافتهم ما هي إلا فرص لعقد الصفقات لحساب هذه الشركات.

**ثالثاً: عولمة التجارة**

تزايدت في الآونة الأخيرة معدلات التجارة العالمية بجنون، ولا توجد دولة على وجه الأرض الآن إلا وتحاول أن تنتج شيئاً تبيعه لبقية البلدان، وأصبحت كلمة التصدير هي مفتاح النجاح الاقتصادي لأي دولة، ولا سيما بعد توقيع الاتفاقية العامة للتجارة والرسوم الجمركية (*GATT*) والتي تهدف إلى الوصول إلى مستوى صفر صفر في التجارة، أي تصبح الجمارك صفر بين جميع الدول، مما استلزم قيام منظمة عالمية تحكم التجارة في العالم، فقامت منظمة التجارة العالمية (*WTO*) سنة ١٩٩٦، هذه المنظمة التي انضم لها في غضون ثلاث سنوات ١٤٠ دولة، بالإضافة إلى ٣٠ دولة هم في المراحل النهائية من خطوات الإنضمام، وهي الجهة الوحيدة حالياً التي تتولى إدارة العالم تجارياً، وقد تعهدت جميع الدول بخفض الرسوم الجمركية والتزمت بإزالة جميع القيود التي تعيق تدفق السلع والمنتجات.

أليس هذا شيئاً عجيباً، أين كان هذا من بضع عقود مضت؟ منظمة واحدة تدير العالم كله تجارياً، ويقبل إدارتها ١٧٠ دولة من أصل ١٩٥ هي كل دول العالم، وفي غضون ٣ سنوات. ألا يجعلنا هذا نتوقع أن تصبح كل

تجارة العالم في يد رجل واحد، إن حدث وسيطر رجل واحد - وما أسهل أن يحدث هذا - على هذه المنظمة؟

تقول "لوري ولاش" المسئولة عن مظاهرات ٤٠ ألف مواطن أمريكي ضد منظمة التجارة العالمية، خوفاً من العولمة، في "سياتل"، في ديسمبر ١٩٩٩: **"إن رئيس منظمة التجارة العالمية "مايكل مور" غير مسئول أمام أحد"** (مجلة *Foreign Policy* ربيع ٢٠٠٠)، أي أنها مرتعبة من قرارات هذا الرئيس الذي يتحكم في تجارة العالم كله، في الوقت الذي هو فيه غير مسئول أمام أحد . أي أننا من الآن بدأنا نرى رئيساً يمسك بالتجارة العالمية، ويتظاهر ضده ٤٠ ألف مواطن أمريكي خوفاً منه على أرزاقهم، فما بالك عندما يصل الرئيس الذي سيقيمه الشيطان، ولن يحتاج لسلطة أكثر من سلطة هذا الموجود الآن؛ أي رئاسة تجارة العالم.

**رابعاً: عولمة المال**

لقد برزت أسواق المال العالمية، وكانت قبل التسعينات موجودة ولها الطابع العالمي، إلا أن ما حدث خلال التسعينات هو شيء لا يصدقه عقل؛ فلقد أصبحت هذه الأسواق خارجة عن تحكم أي دولة أو بنك محلي، ولقد أصبحت آلية تماماً، فتُنجز معاملاتها بسرعة الضوء وعلى مدار الساعة وباتساع المعمورة، فهي اليوم بلا وطن ولا حدود، لا اعتبار عندها للزمان أو المكان أو جنسية الشاري أو البائع، فيمكن لأي جالس أمام شبكة الإنترنت في أي بقعة أن يصبح مالكاً لأسهم وسندات، يشتري ويبيع لأي شركة في أي بقعة في العالم، فالشركات أصبحت معولمة، والملاك أيضاً من كل بقاع الأرض.

وفي عام ١٩٩٨ بلغت الأوراق المالية المتداولة خارج سيطرة الدول

أكثر من ٤ تريليون دولار، ويقول د. عبد الخالق عبد الله: **"لا توجد أيدلوجية أوثقافة أو قضية أو منظمة أو حكومة توازي في قدرتها على توحيد العالم قدرة الأسواق المالية".**

## مخاطر وتأكيدات

هذه الوحدة الاقتصادية للعالم تحمل مخاطر شتى، وفي نفس الوقت تبرهن صدق كلمة الله وتؤكد قرب مجيء المسيح. وتتلخص هذه المخاطر في أمرين:

**أولاً:** أن هذه الوحدة تجعل من السهل جداً انهيار الاقتصاد العالمي كله، إذ أصبح الكل مرتبطاً بالكل. وعلى الرغم من الضخامة والدقة المذهلة اللذين يميزان النظام الاقتصادي العالمي الآن، إلا أنه نظام هش للغاية، طبقاً لأراء الاقتصاديين الكبار، فهو نظام يمكن كسره وهدمه من خلال السماسرة والمضاربين. وعندما ينهار ستبرز الحاجة للمنقذ الدكتاتور الذي سيُحكم قبضته على اقتصاد العالم ليقيمه من عثرته ويفرض ما يشاء من شروط، والكل وقتها سيخضع له، لأنه لا صوت يعلو على صوت الاقتصاد، فالدول الآن تقوم وتسقط طبقاً لقيام وسقوط اقتصاداتها. ومن وجهة نظرنا لن يكون هذا الدكتاتور سوى الوحش، الذي إذا سيطر على منظمة التجارة العالمية فقط أمكن تحقيق نبوة الكتاب: «لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السِّمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه» (رؤيا١٣:١٧).. إذاً فالمسرح الاقتصادي تهيأ تماماً لظهور الوحش، والفَرس الآن مُعَد، واللجام جاهز ليوضع في يد هذا الرجل.

**ثانياً:** إن هذه العولمة الاقتصادية، بشهادة الخبراء، لا تضع في حسابها

أبداً الفقراء والمهمّشين، بل على العكس، هي تطحنهم بأحذيتها الغليظة مما سيتولد عنه الآتي:

أ- ازدياد الفقراء فقراً وازدياد الأغنياء غنى.

ب- انتشار الأوبئة والأمراض كنتيجة للمجاعات التي تجتاح الدول الفقيرة.

ج- انتشار الثورات الاجتماعية والحروب والعنف والجريمة بكل أشكالها.

د- مزيد من الانهيار الأدبي والأخلاقي.

وأود الآن أن أوضح لقارئي العزيز أن هذه الأمور التي ذكرتها كمخاطر ناتجة عن العولمة الاقتصادية، هي عين ما تنبأ به الكتاب المقدس، ولا سيما سفر الرؤيا، عن ما سيحدث على الأرض قبيل مجيء المسيح ليملك عليها. وسأفعل هذا مستنداً لا على نظرتي الشخصية، أو تحليلي الشخصي للأحداث، لئلا أكون منحازاً أو غير موضوعي في حكمي على الأمور بسبب إيماني العميق بقرب مجيء المسيح، لذلك سأفعل هذا مستندا على أقوال أهل الفكر، والعلماء، وخلاصة الأبحاث العلمية الموثوق بها لدى المثقفين في شتى بقاع الأرض.

**١- عن ازدياد الفقر:**

تقول مجلة عالم الفكر في ديسمبر ١٩٩٩:

**"خشي الأوروبيون في مطلع الثمانينات من مجتمع الثلثين؛ أي مجتمع يتمتع فيه الثلثان بالرفاهية، ويقابله ثلث معوز سيصبح مصدر إزعاج وتوتر وهزات اجتماعية مفاجئة. إلا أنه قد نزل عليهم خبر جديد كالصاعقة بعد ١٥ سنة، عندما بدأ المختصون يتحدثون، أمام اجتماع نخبة قيادة العالم بفندق "فيرمونت" في "سان فرانسيسكو" في خريف ١٩٩٥، عن مجتمع العشرين وليس**

**الثلثين؛ أي أن المستقبل سيكون فقط لـ٢٠٪ من سكان الأرض يتمتعون بمستوى معيشي محترم والباقي سينضم لجحافل العاطلين".**

ولقد صدقت نبوة هؤلاء المختصين، ففي عام ١٩٩٩ دخل العالم هذه المرحلة، إذ أن ٢٠% من دول العالم أصبح يمتلك ٨٤,٧% من الناتج الإجمالي للعالم كله، واستحوذ على ٨٤,٢% من تجارة العالم، ويمتلك سكانها ٨٥,٥% من مدخرات العالم؛ وباقي الـ٨٠% من دول العالم وسكانها يتصارعون على ١٥% الباقي من الناتج الإجمالي للعالم.

وأنقل لك بالحرف ما يقوله "مايكل تشوسادوفسكي" تحت عنوان "الفقر العالمي في نهاية القرن العشرين" (مجلة الثقافة العالمية ديسمبر ٩٨):

**"العالم يضم حالياً أكبر عدد من الفقراء، وهذا العالم المعاصر هو أكثر فقرا من أي وقت مضى في كل التاريخ، ونسبة الفقراء من إجمالي سكان الأرض هي الأعلى في التاريخ، وحتى الفقراء هم الآن أكثر فقرا من أي وقت مضى في التاريخ. والفقر نفسه أصبح فقرا مركباً مطلقاً، ويتضمن الحرمان من كل مقومات الحياة (أي أن الفقر المعاصر أشد فقرا من أي فقر عرفه التاريخ)، أما عدد الدول الفقيرة، حيث معدل دخل الفرد لا يزيد على ٤٠٠ دولار في السنة، فقد بلغ ٨٠ دولة من أصل ١٩٥ دولة في العالم، من بينها ٣٠ دولة هي الأكثر فقرا وتسمى بدول حزام البؤس، حيث بلغت المعاناة الإنسانية أقصى ما يمكن أن تصل إليه".**

وحتى في داخل البلدان الغنية، ينحصر الغنى في نسبة قليلة من السكان، بينما تعاني الغالبية من الفاقة. ففي بريطانيا، من بين كل ثلاثة أطفال بريطانيين ينشأ طفل في ظل الفقر والفاقة، وفي هذا البلد العريق في علمه وغناه، يضطر الآن مليون ونصف من الصبيان، ممن هم في سن دون

السادسة عشر عاماً، إلى ترك المدرسة والعمل لتوفير لقمة العيش.

وفي الاتحاد الأوروبي ككل، يوجد الآن أكثر من ٥٠ مليون فقير.

**البطالة:**

وإذا كنا نتحدث عن الفقر، فلا بد أن نتحدث، ولو قليلا، عن الأب الشرعي له، ألا وهو عدم توفر فرص العمل، أي البطالة؛ فلم يعرف العالم البطالة ولم يعان منها مثل ما عرفها في ظل العولمة الاقتصادية.

فلقد أصبحت أجهزة الاقتصاد المعولم تفرز يوميا عددا متزايدا من المهمشين، وعلى سبيل المثال أغلقت "جنرال موتورز" في الولايات المتحدة ٢١ مصنعا وسرحت ٢٠ ألف عامل و١٠ آلاف موظف. كما ألغت *IBM* ٢٠ ألف فرصة عمل. ولكي تستطيع شركة الاتصالات الألمانية الاستمرار في المنافسة في السوق العالمية، كان يتعين عليها أن تسرح حتى نهاية عام ٢٠٠٠ مائة ألف عامل وموظف. وفي بريطانيا، ألغت شركة الاتصالات البريطانية – منذ خصخصتها عام ١٩٨٤– ١١٣ ألف فرصة عمل، وخططت لتسريح ستة وثلاثين ألف عامل آخر حتى نهاية ٢٠٠٠ وبذلك تكون قد سرحت نصف العاملين. وفي فرنسا، تجاوز معدل العمال المطرودين من الشغل (عام ١٩٩٦) ٣٥٠٠ عامل كل شهر وبلغت نسبة البطالة ١٢,٣%. وفي عام ١٩٩٧ تجاوز عدد العاطلين عن العمل في دول الاتحاد الأوروبي العشرين مليون عاطل.

يقول الدكتور الحبيب الجنحاني: **"إن الاقتصاد المعولم لم يفشل في تحقيق نسب نمو مرتفعة والحد من ظاهرة البطالة فحسب، بل نسف المكاسب الاجتماعية القديمة، ورمى بفئات اجتماعية متعددة - كانت تحظى بمستوى معيشي محترم - إلى**

**هوة البطالة والفقر. وستكون الكارثة الجديدة أشد هولاً في البلدان النامية، ألا وهي القضاء على الطبقة الوسطى".**

**٣- ازدياد الأغنياء غنى:**

يقول د. رمزي زكي تحت عنوان "وداعاً .. الطبقة الوسطى"، في ديسمبر ١٩٩٦ في مجلة عالم الفكر: **"إذا كانت الطبقة العاملة تعاني من البطالة وتدهور القوة الشرائية والخوف من فقدان فرص العمل، وبدأت الطبقة الوسطى تضمر وتتدحرج نحو الأسفل، فمن أفاد - إذا - من حيوية الاقتصاد المعولم، ومن زيادة نسبة النمو في كثير من البلدان؟ أفاد بالدرجة الأولى أمراء الأممية المالية الجديدة، وهم الذين أطلقنا عليهم سكان واحات الثراء، سواء كان ذلك في سان فرانسيسكو ولاس فيجاس أو في ساوباولو أو في نيودلهي أو في الدار البيضاء والقاهرة. إن هذا الوضع يؤكد مقولة: ارتفع البحر وترنحت السفن الطافية نحو الأسفل".**

فلك أن تعرف أن ٣٥٨ (ثلاثمائة وثمانية وخمسين) شخصاً من أصحاب المليارات يملكون ثروة تضاهي ما يملكه مليار ونصف من سكان المعمورة، أي أن ثروتهم تقارب مجموع ما يملكه نصف سكان العالم.

ألا يؤكد هذا ما قاله الكتاب عن الختم الثالث وفرسه الأسود، حيث الغلاء الفاحش لضروريات الحياة بالنسبة للفئات المطحونة، فلا تستطيع حتى الحصول على خبز الشعير، وفي نفس الوقت الرفاهية لفئات أخرى لا تجد أدنى مشكلة في الحصول على الزيت والخمر وليس على ضروريات الحياة. «فنظرت وإذا فرس أسود، والجالس عليه معه ميزان في يده. وسمعت صوتاً... قائلاً: ثُمنية قمح بدينار، وثلاث ثماني شعير بدينار. وأما الزيت والخمر فلا تضرّهما» (رؤيا٦: ٥،٦).

**٣- زيادة احتمالات الانهيار الاقتصادي**

هذا النظام الاقتصادي المعولم يبدو أمام النظرة السطحية أنه قوي البنيان، إلا أن نظرة الخبراء تراه في منتهى الضعف والهشاشية، فمن الممكن الآن حدوث انهيارات اقتصادية فجائية، تؤثر على حياة كل فرد من سكان الكرة الأرضية، وهذا ما لم يكن يحدث قبل عولمة الاقتصاد. فاحتمالات الانهيار زادت، وآثار أي انهيار في أي بقعة صار يؤثر في كل بقاع الأرض. اسمع ما يقوله واحد من الخبراء*:

**"لقد رافق عولمة الاقتصاد ظاهرة أممية رأس المال، لكنها أممية يتربع على عرشها بالدرجة الأولى كبار المضاربين في بورصات العملة والأوراق المالية. فقد اعترف مدير صندوق النقد الدولي ميشال كامديسو ، أيام الأزمة المالية في المكسيك، بأن العالم أصبح في قبضة هؤلاء الصبيان. وهؤلاء المضاربين في بورصات العملة والأوراق المالية أصبحوا قادرين على إسقاط نظم قوية لدول كبيرة باتباع أساليب مختلفة، مثل إغلاق حنفيات الاستثمارات المالية أو حض رؤوس الأموال على الهجرة أو الضغط على عملة معينة لتنهار. ولقد فعلوها هؤلاء الصبيان في المكسيك في مطلع عام ١٩٩٥ في العملية التي أطلق عليها درع البيزو ، عندما انهارت العملة المكسيكية، وخضعت قوى جبارة، كقوة الولايات المتحدة الأمريكية والمصارف المركزية الأوروبية وصندوق النقد الدولي، أمام السوق المالية، التي تتحكم فيها أيد خفية هي أيدي هؤلاء الصبيان، وقد جاء تصريح مدير صندوق النقد الدولي كأنه يقول إنهم أصبحوا يملكوننا ولا نملكهم".**

بل إن الاقتصاد المعولم الآن يُطلق عليه "اقتصاد الكازينو"، إذ أنه فتح

* مجلد عالم الفكر الثامن والعشرون

الباب أمام فئة هم مقامرون في المقام الأول، وأصبح رؤساء الدول يخطبون ودهم خوفاً منهم، والآن يقبع كثير منهم في غياهب السجون. ولك أن تعرف من خلال تقرير نشرته إحدى الصحف اليابانية عن قائمة الأثرياء العشرة الكبار في اليابان، أن هذه القائمة لا تحوي إلا ثلاثة فقط تعود ثرواتهم إلى نشاط له علاقة حقيقية بالاقتصاد، أما البقية فهم سماسرة!!

ولك أن تتخيل قوة هؤلاء السماسرة من تصريحات بعض المسئولين، فرئيس البنك الألماني الفيدرالي يقول:

**"إن رجال السياسة من الآن فصاعداً أصبحوا تحت سيطرة رجال الأسواق المالية".**

والزعيم النقابي "مارك بلوندال" يقول في منتدى دافوس العالمي ١٩٩٦:

**"إن السلطات الرسمية لم تعد تمثل، في أحسن الحالات، سوى مقاولة داخلية (أي مقاول من الباطن) تابعة لمؤسسة السوق، أي أن السوق يحكم والحكومة تسير".**

وصارت هناك مقولة منتشرة في أروقة السياسة والاقتصاد **"إن السمسرة انتصرت على الدولة"**.

وقد كنا نتساءل كثيراً منذ عشرين عاماً، عندما كنا نقرأ شروحات لسفر الرؤيا، وهي تفسر ما سيحدث عند فتح الختوم السبعة، ولا سيما الختم السادس الذي يقول: «وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما»، إذ يقولون إن هذا يعني حدوث انهيارات اقتصادية وفوضى عالمية تعم العالم كله، وكان مبعث تساؤلاتنا: كيف تحدث الانهيارات الاقتصادية فجأة؟ وكيف تنتشر من بلد إلى آخر أو من قارة إلى أخرى؟ ولماذا؟ لكننا الآن أصبحنا نرى أن مشكلة اقتصادية في جنوب شرق آسيا تؤثر على حياة فلاح مصري في إحدى قرى صعيد مصر، وسماسرة أسواق المال العالمية يمكنهم

إحداث انهيار اقتصادي وقتما شاءوا وأينما شاءوا.

وأختم هذه النقطة بنقل ما قالته إحدى المجلات المحترمة عن الاقتصاد المعولم، إذ تقول بالنص:

**"إن من يطلع على مدى قوى أممية رأس المال الجديدة وسيطرتها على الاقتصاد العالمي، يحس أنها قلعة متينة القواعد لا تؤثر فيها الأعاصير العاتية، ولكن حقيقة الأمر تختلف عن ذلك فمظاهر قوتها وشموخها تفضح في الوقت نفسه هشاشتها كما برهنت على ذلك أمثلة متعددة من الانهيار في الأعوام الأخيرة، وجعلت أهل الاختصاص يتحدثون بتوجس وخوف عن الانهيار الشامل الذي يمكن أن يحدث في اي وقت، ذلك لأن إفلاس بنك واحد كبير يمكن أن يؤدي بين عشية وضحاها إلى إفلاس بنوك أخرى في العالم، ويصبح وقوع أكبر كارثة محتملة امرا ممكنا بلا ادنى شك، ولقد حذر من هذا في مطلع عام ١٩٩٤ رئيس اتحاد صناديق الإدخار الألماني هورس كولر . وكارثة الانهيار الشامل لا تحل فقط عندما يصيب الإفلاس مصرفا كبيرا فحسب، بل يمكن أن تحل حينما يعصف الإفلاس بأحد اللاعبين الدوليين!" (مجلد عالم الفكر الثامن والعشرون).**

لاحظ، عزيزي القارئ أنهم بدأوا يتحدثون من الآن عن ما أسموه "كارثة الانهيار الشامل". هذا بالإضافة إلى ما سمعناه منهم أيضا عن "الفوضى الشاملة" بصدد حديثنا عن العولمة السياسية، وعليه يمكننا القول، طبقا لرأي الخبراء، أن العولمة السياسية ستتمخض عن فوضى شاملة، والعولمة الاقتصادية ستتمخض عن الانهيار الشامل، وكلاهما سبق للكتاب وأنبأنا عن حتمية حدوثهما في فترة مبتدإ الأوجاع. فالفوضى الشاملة تهيئ لظهور الوحش، والانهيار الاقتصادي الشامل هو الذي سيمكنه من إحكام قبضته على العالم.

**٤- انهيار أخلاقي واجتماعي:**

يقول "سيرج لاتوش" في كتابه "العولمة ضد الأخلاق" (١٩٩٨): "إن **العولمة التكنو-اقتصادية تؤدي بطريقة شبه آلية إلى أزمة أخلاقية**". ويقول مصدر آخر: "**إن هدف العولمة الاقتصادية هو تحويل العالم إلى عالم يهتم بالاقتصاد أكثر من اهتمامه بأي أمر حياتي آخر، بما في ذلك الأخلاق والقيم الإنسانية التي تتراجع تدريجياً وتستبدل بالعلاقات السلعية والربحية النفعية**".

في عالم انفصل عن الله، ويرفض ابن الله، ظلت بعض المبادئ الأخلاقية - والتي مصدرها الله - تحفظه إلى حد ما من الانهيار الشامل، إلا أن هذه المبادئ تتراجع الآن أمام المال، حتى تنهار تماماً بعد اختطاف الكنيسة، حين تتسمم كل ينابيع المياه أي المنابع الأدبية والأخلاقية للبشر (رؤيا٨: ١٠).

نشرت جريدة الأهرام القاهرية في ٢٠٠١/١/١٥ أن شاباً أراد أن يأخذ ثروة أبيه عنوة، وعندما رفض الأب، اتفق الابن مع صديق له على قتل الأب نظير مبلغ من المال. وجاء الصديق يبشر الابن بمقتل الأب، وذهبا كلاهما ليتخلصا من الجثة، وعند دخولهما فوجئ الابن بأن الأب مازال حياً، ويستغيث به قائلاً: أنقذني يا ابني فقد جاء هذا الرجل وطعنني بالسكين. فما كان من الابن إلا أن طرح على أبيه الكيروسين وأحرقه. أليس هذا هو عين ما أنبأ به الكتاب عن أخلاق الناس في الأيام الأخيرة إذ يقول «ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم، محبين للمال، ...، ...، غير طائعين لوالديهم، .. بلا حنو، بلا رضى، .. شرسين، خائنين مقتحمين» (٢تيموثاوس٣: ١-٥).

ولك أن تتخيل مدى الانهيار الأخلاقي الذي تفرضه العولمة - من خلال مؤسساتها المختلفة - على سكان العالم؛ ففي أعمال الدورة الخاصة للجمعية

العامة المعنية بمتابعة توجيهات المؤتمر العالمي الرابع للمرأة، شهدت المناقشات جدلاً شديداً حول الورقة المقدمة من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، والتي تشمل اقتراحاً بإطلاق الحريات الجنسية لنساء العالم، وتدعو هذه الورقة إباحة الإجهاض، بل وتعليم الفتاة كيفية التخلص من الحمل إذا كانت لا تريده، والسماح للنساء بما يُسمى بالتحرر الجنسي وممارسة حياتها الجنسية بالطريقة التي تراها ومع من تشاء دون أي التزام ديني أو أخلاقي، بل والاعتراف بحق المرأة في الشذوذ بعيداً عن الممارسة الطبيعية!!

وبالطبع هناك أسباب كثيرة تفرزها العولمة تقود إلى هذا الانهيار الأخلاقي والاجتماعي، منها على سبيل المثال لا الحصر: فتح الأبواب على مصاريعها أمام التجارة الحرة باسم حرية السوق، فقد رافقتها نسبة مهولة من ازدياد الجريمة؛ فقد ارتفع – على سبيل المثال – حجم المبيعات في السوق العالمية لمادة الهيروين إلى عشرين ضعفاً خلال العشرين عاماً الماضية، أما المتاجرة بالكوكايين فقد ازدادت خمسين مرة.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى انتشار المخدرات بهذه الصورة المرعبة سبق للكتاب أيضاً وتنبأ عنه كواحدة من علامات وقت المنتهى، ففي سفر الرؤيا٩: ٢٠، ٢١ يقول عن الناس في زمن الضيقة العظيمة، وبعد أن نزلت ضربات مرعبة على الأرض «وأما بقية الناس الذين لم يُقتلوا بهذه الضربات، فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم، حتى لا يسجدوا للشياطين... ولا تابوا عن قتلهم ولا عن سحرهم» وكلمة سحرهم هذه تأتي في اليونانية، كما أوحى بها الله، *pharmakeia* ومنها الكلمة الإنجليزية المعروفة *pharmacy* وترجمتها الحرفية "عقاقير"، وأعتقد أن هذه إشارة واضحة للمخدرات المخلّقة صناعياً في صورة عقاقير والتي أشهرها الهيروين والكوكايين.

وهناك سبب آخر ألا وهو ازدياد البطالة والفقر وفئات المهمّشين ولا سيما بين شباب بكامل صحته ومؤهّل للعمل ولا يجد ما يعمله. كل هذا يخلق تربة خصبة لنمو حركات التطرف والنزعات الطائفية والبدع الدينية.

## عنف أجيال العولمة

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الثقافة العالمية مقالاً خطيراً توضح فيه بالرسوم البيانية ازدياد معدلات القتل في الشوارع بصورة مرعبة وعلاقة هذا بالعولمة، فتقول: "**مع أن الاتجاهات الديموجرافية ساعدت على إعداد قنبلة العنف للانفجار، فإن العولمة هي التي نزعت فتيلتها، إذ أنها أدت إلى تفاقم تباين الدخول في أنحاء العالم وانتشار ثقافة العنف من خلال تزايد وسائل الإعلام والاتصالات، ووسعت التجارة في صناعة الموت مثل الأسلحة والمخدرات**".

ولقد كان المتوسط العالمي لجرائم القتل في الفترة من ١٩٨٠-١٩٨٤ متوقف عند ٥,٨٢ جريمة قتل لكل ١٠٠ ألف مواطن، إلا أن هذا الرقم تصاعد بحدة ليصل في الفترة الحالية في بعض المدن مثل جوهانسبرج ١١٥ لكل ١٠٠ ألف. وفي الولايات المتحدة هناك قتيل بالرصاص كل ٢٤ دقيقة على مدار ساعات الليل والنهار، طبقاً لمقال نشرته الواشنطن بوست في سبتمبر ١٩٩٧. وهذا تأكيد لنفس النبوة في رؤيا ٩: ٢١ إذ يقول «ولا تابوا عن قتلهم».

هذا كله طابع الأيام الأخيرة حيث الانقلابات والثورات الاجتماعية والحروب الأهلية.

وعلى الجانب الآخر، تزداد في البلاد ذات المستوى المعيشي المرتفع

معدلات الانتحار بشكل مرعب، حتى أن منظمة الصحة العالمية تُقَدِّر أنه بنهاية عام ٢٠٠٠ يكون مليون شخص قد انتحروا. وفي فنلندا، حيث الدخل المرتفع جداً، ينتحر كل يوم من الأيام العادية ٤ فنلنديون. وفي ليتوانيا، ينتحر ٤٠ شخص من بين كل مائة ألف كل عام.

كتب "روبرت د. كابلان" الخبير الأمريكي في شئون العالم الثالث، يقول: **"بما أن ٩٥٪ من الزيادة السكانية تتركز في أفقر مناطق المعمورة، لذا لم يعد السؤال يدور حول ما إذا كانت ستندلع حروب أم لا، إنما صار يدور حول طبيعة هذه الحروب ومن سيحارب من. فمن بين ٢٢ دولة عربية - على سبيل المثال - ينخفض الناتج القومي سنوياً في ١٧ منها بينما يتوقع المرء أن يتضاعف حجم سكانها في خلال العشرين سنة القادمة"**.

وأكتفي بهذا، لكن قبل أن أختم حديثي عن مخاطر العولمة الاقتصادية، أنقل لك – عزيزي القارئ – تحليلاً علمياً دقيقاً، يؤكد أن هذه الحالة الأخلاقية والاجتماعية، حيث انتشار الفقر وتفشي البطالة، هي التي تهيئ لظهور الدكتاتور الأكبر ممثّلاً في الوحش السياسي وهو نفسه الاقتصادي الكبير، وأيضاً انتشار الخواء الروحي الذي يدفع للبدع الدينية ليهيئ لظهور النبي الكذاب.

يقول الكاتب الأمريكي المعروف "وليم كريدر"، وهو يحاول أن يرسم صورة للمستقبل، فلا يجد إلا صورة دكتاتور يحكم قبضته على عالم فوضوي، فيقول:

**"تزدهر الفاشية في ظل ظروف اقتصادية ومالية معينة، إن أي سياسي أمريكي تسلطي يوحي بشيء من المصداقية حينما يعد الشعب بأنه سيحقق له سبل**

**الحصول على لقمة العيش سيفوز فوزا باهرا خاصة عندما يقدم وعده هذا وقد زخرفه بنبرات عنصرية الفحوى".**

وعليه فقد بدأت تنتشر في هذه الأيـــام الحركـــات العنصريـــة اليمينيـــة المتطرفة، كما حدث في أوروبا في العشرينات، والتي هيأت لظـــهور هتلـــر وموسوليني. ويقول د. الحبيب الجنحاني:

**"من دروس التاريخ نتعلم أن التوتر الاجتماعي العنيف وانتشار البطالة لهمـا دور حاسم في فشل الديمقراطية وصعـود اليمـين المتطـرف، والقـوى الـتي تدافـع عـن الديمقراطية هي المتمتعة بالسكن والتـأمين الاجتمـاعي ضـد نـوائـب الدهـر، أمـا القوى المهمشة ماديا واجتماعيا، فإنـها تحلـم بـالبديل وإن جـاء مـن قـاع الجحيم، فتصدق كل ناعق".**

لاحظ هذه الكلمة الأخيرة والتي أعتبرها شخصياً نبوة، فهو فعلاً ســـيأتي **من قاع الجحيم**. بل إن الكتاب أكد على هذا في رؤيا ١١: ٧ ؛ ١٧: ٨*

* من الواضح أن سفر الرؤيا يشير بكلمة الوحش إلى شخص، وهـــذا يتضـــح مـــن رؤ ١١: ٧ ، وأيضاً إلى الإمبراطورية نفسها والتي يرأسها هذا الشخص، كما في رؤ١٣: ١. وهذا جـــائز في السياسة، فمن الممكن أن أقول "قالت مصر" ويكون رئيسها هو الذي قال، أوالعكس.

# الفصل السادس

# العولمة الثقافية

«ويجعل الجميع، الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد، تُصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم» (رؤيا١٣: ١٦).

ربما تكون العولمة الثقافية أكثر وضوحاً لعزيزي القارئ من العولمة الاقتصادية أو العولمة السياسية، وإن كانت في الواقع هي أقل اكتمالاً منهما، ذلك لتعدد نشاطاتها وأيضاً بُعد غاياتها، فتوحيد العالم ثقافياً أمر ليس بسهولة عولمته اقتصادياً، إلا أنه مع ذلك يمضي قدماً نحو غايته بخطى ثابتة متسارعة. وعندما نقول الثقافة، فإننا لا نقصد فقط عناصرها الثلاثة الرئيسية: الفكر والفن والأدب، بل أيضا الدين. وإن كانت بذرة العولمة بصفة عامة قد نشأت في بابل، في القرن العشرين ق.م تقريباً، عندما حاول بنو البشر بناء المدينة والبرج، فإن بذرة توحيد العالم دينياً بدأت أيضا في بابل، بعد ذلك بحوالي خمسة عشر قرناً، عندما صنع نبوخذ نصر الملك تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ست أذرع ونصبه في بقعة

دورا في ولاية بابل، يقول الكتاب عن هذه الحادثة : «ثم أرسل نبوخذ نصـر الملك ليجمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقـهاء والمفتيـن وكل حكام الولايات، ليأتوا لتدشين التمثال الذي نصبه نبوخذ نصر الملـك... ووقفوا أمام التمثال الذي نصبه نبوخذ نصر. ونادى منادٍ بشدة: قـد أُمرتـم أيها الشعوب والأمم والألسنة، عندما تسمعون صوت القرن والنـاي والعـود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخرّوا وتسجدوا لتمثـال الذهب الذي نصبه نبوخذ نصر الملك» (دانيآل٣: ٢-٥)

والعولمة الثقافية على - ما أرى - حتماً ستنجح في الوصول لغايتـها، إذ يكفيها هذا الكم الهائل من وسائل الإعلام والاتصالات، فعندما يتوافر لسـكان الأرض ألفا قمر صناعي، تقوم حالياً بربط كل البشر معاً، من خـلال نقـل الأخبار والأحداث والأفكار والمعلومات والقيم إلى كل أرجاء المعمورة، مـع توافر التلفزيون في كل بيت، فماذا يعوز البشر بعد لكي يتعولموا ثقافياً؟

وما يهمنا في العولمة الثقافية أضعه باختصار في النقاط التالية:

**١- كفاءة وسائل الإعلام**

لقد بلغت البشرية مرحلة الحرية الكاملـة لانتقـال الأفكـار والمعلومـات والبيانات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبأقل قدر مـن العراقيـل أو القيود أو حتى الضوابط البسيطة، فلقد فقدت الدول السيطرة على التداول الحـر للمواد الثقافية والأخبار، والذي يتم عبر وسائل ووسائط تقنية لم تـبرز إلا فـي التسعينات. فلقد أصبح ملايين من البشر موحَدين تلفزيونياً وتلفونياً من خـلال البريد الإلكتروني والإنترنت. ولم يحدث في التاريخ أن تمكن ٣ مليارات فـرد (أي حوالي ٥٠% من سكان العالم) أن يتابعوا بالصوت والصورة الحية وفـي

وقت واحد حدثاً عالمياً مثلما تكرر عدة مرات في عقد التسعينات.

وإذا استثنينا الأطفال والرضع والذين لا يهمهم هذه الأحداث العالمية، كمراسم دفن الأميرة ديانا، أو توقيع اتفاقية للسلام في واشنطن، فيمكننا القول إن كل سكان العالم اليوم يمكن أن يجتمعوا حول التلفاز وشبكة الإنترنت لمتابعة حدث واحد. فألفا قمر صناعي و١,٤٥ مليار جهاز تليفزيوني موجودة في العالم، بالإضافة للإنترنت؛ لهي قادرة تماماً على توحيد العالم حول أي حدث، وهذا ما يفسر لنا بعض الأحداث الهامة في سفر الرؤيا، والتي ما كان يمكن أن تُشرح ولا أن تُفهم بدون ثورة الاتصالات، والتي تسمى الآن ثورة الإنفوميديا. فكيف، على سبيل المثال، يتم ما ورد في رؤيا ١١:٨،٩،١٠، عندما يتكلم الكتاب عن شاهدين سيشهدا للرب ويُقتلا في أورشليم وتكون جثتاهما هناك، ثم يقول الكتاب «وينظر أناس من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفاً... ويشمت بهما الساكنون على الأرض». فكيف يمكن للناس من مختلف الشعوب والقبائل والألسنة رؤية حدث واحد في نفس اللحظة بدون الأقمار الصناعية والتلفزيون أو بدون الإنترنت؟

### ٣- توحيد الرأي العام

هنا مكمن الخطر، فلا توجد قوة توحّد الناس فكرياً أقوى من صوت وصورة وحديث من طرف واحد يغسل الأمخاخ ويقنعها بما يشاء، ويضيق بنا هنا المقام لذكر ما يقوله الخبراء عن قدرة وسائل الإعلام على توحيد الرأي العام في هذا الاتجاه أو ذاك طبقاً لما يشاءون، فإنجاح رؤساء وإسقاطهم، وتعبئة الناس للحرب أم صرفهم عنها، وترويج سلعة معينة فاسدة، كل هذا تتحكم فيه وسائل الإعلام.

ولك أن تعرف أن صناعة الدعاية والإعلان في الولايات المتحدة الأمريكية ميزانيتها في العام الواحد ٢٥٠ مليار دولار، أي حوالي ٦٨٥ مليون دولار يومياً (أكثر من ٢,٧ مليار جنيه مصري يومياً). كل هذا الإنفاق لتوجيه الرأي العام في الاتجاه الذي يريدون، وما كانوا ينفقون كل هذا لولا ثقتهم في قدرة وسائل الإعلام على السيطرة على عقول البشر. ولقد كتب "هربرت أ. شيللر" كتاباً شيقاً بعنوان *The mind manager* وترجمته وزارة الثقافة في الكويت بعنوان "المتلاعبون بالعقول"، وفيه يشرح هذا الرجل الإعلامي الكبير كيف يجذب محركو الدمى الكبار في السياسة والإعلان ووسائل الاتصال خيوط الرأي العام، مؤكداً على سطوتهم الرهيبة لإقناع الناس بما يريدون.

**٣- نشر ثقافة وأفكار وقيم رديئة**

يقول د. الحبيب الجنحاني:

**"الإنتاج الثقافي بمفهومه الواسع: رياضة، موسيقى، سينما، مسلسلات تلفزيونية، أخبار، مجلات، أصبح بأيدي التجار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، فلا غرابة أن ينزلق النموذج الثقافي نحو الأسفل، فتطغى مظاهر السطحية والإثارة والرداءة. بل إن هذا الضرب من الإعلام الرخيص ذكر الكثيرين من المفكرين بصيحة الفزع التي أطلقها كل من "جورج أورديل" و"ألدوس هكسلي" محذرين من التقدم الزائف لعالم يتحكم فيه هؤلاء، فلقد أصبح من الواضح أن أرباب وسائل الاتصال قادرون على توجيه الرأي العام العالمي، بل قادرون على تغيير الأذهان على مستوى الكوكب الأرضي".**

إذا أضفت إلى هذا ما يدعو إليه المثقفون الأمريكان الآن من رفض الحق المطلق، بمعنى أنه لا شيء يعتبر حقاً مطلقاً؛ فكل ما تراه أنت حقاً هو حق، وكل ما أراه أنا حقاً هو حق، وينظرون باحتقار وغضب للمسيحيين الذين ينادون بحقائق مطلقة، وأيضاً ينادون بثقافة التقبل *Tolerance* بمعنى أن يكون عندك مرونة لتقبُّل أفكار الآخرين بِغضّ النظر عن صحتها. وهكذا انتشرت الأفكار الكفرية والإلحادية وديانة الـ*New age* (العصر الجديد)، والتي تنادي بوحدة الكون واللاهوت، فنحن؛ البشر والبيئة والحيوانات والنباتات كلنا الله، فأنت الله والحشرة الله والشجرة الله، وهكذا. والشيء المرعب أن زعماء ديانة العصر الجديد هم أصحاب وسائل الإعلام الكبرى في العالم. وهؤلاء يهيئون أنفسهم للانقضاض على البشر من خلال وسائل الإعلام لتوحيدهم دينياً.

كل هذا وغيره يفسر لنا أجزاءً هامة من سفر الرؤيا كانت غامضة ومحيرة للسابقين من إخوتنا الذين حاولوا فهمها، على سبيل المثال ما يقوله عن سجود جميع الساكنين على الأرض للوحش (رؤيا١٣: ٨)، فكيف يجمع كل الساكنين على الأرض شيءٌ واحد بدون عولمة ثقافية؟ وكيف يسجدون لإنسان لولا انتشار كفر وإلحاد هيّأت له وسائل الإعلام؟

وأيضاً يقول عن النبي الكذاب: «ويُضِل الساكنين على الأرض بالآيات التي أُعطي أن يصنعها أمام الوحش، قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش» (رؤيا١٣: ١٤). فكيف يمكنه أن يُري آياته لكل سكان الأرض بدون تلفزيون وإنترنت؟ وكيف يمكنه أن يوحّد العالم ويضلهم بدون عولمة ثقافية؟

# خاتمة

وهنا أستأذن عزيزي القارئ أن أكفّ عن الكتابة عن العولمة، فلقد تعبت للغاية من كثرة ما قرأت عن مستقبل مظلم ينتظر الأرض وسكانها تحت ظل هذه العولمة، ولكني تحملت هذا العناء بغية تحذير كل من سحقه العالم الشيطاني بمشاغل الحياة وهمومها أو ملذاتها وتسلياتها ليستفيق من وهم كبير ويسرع للاحتماء بالحق، فالحق وحده هو حصن الأمان وهو وحده ملجأ القلوب الحائرة في عالم الكذب والخداع والزيف.

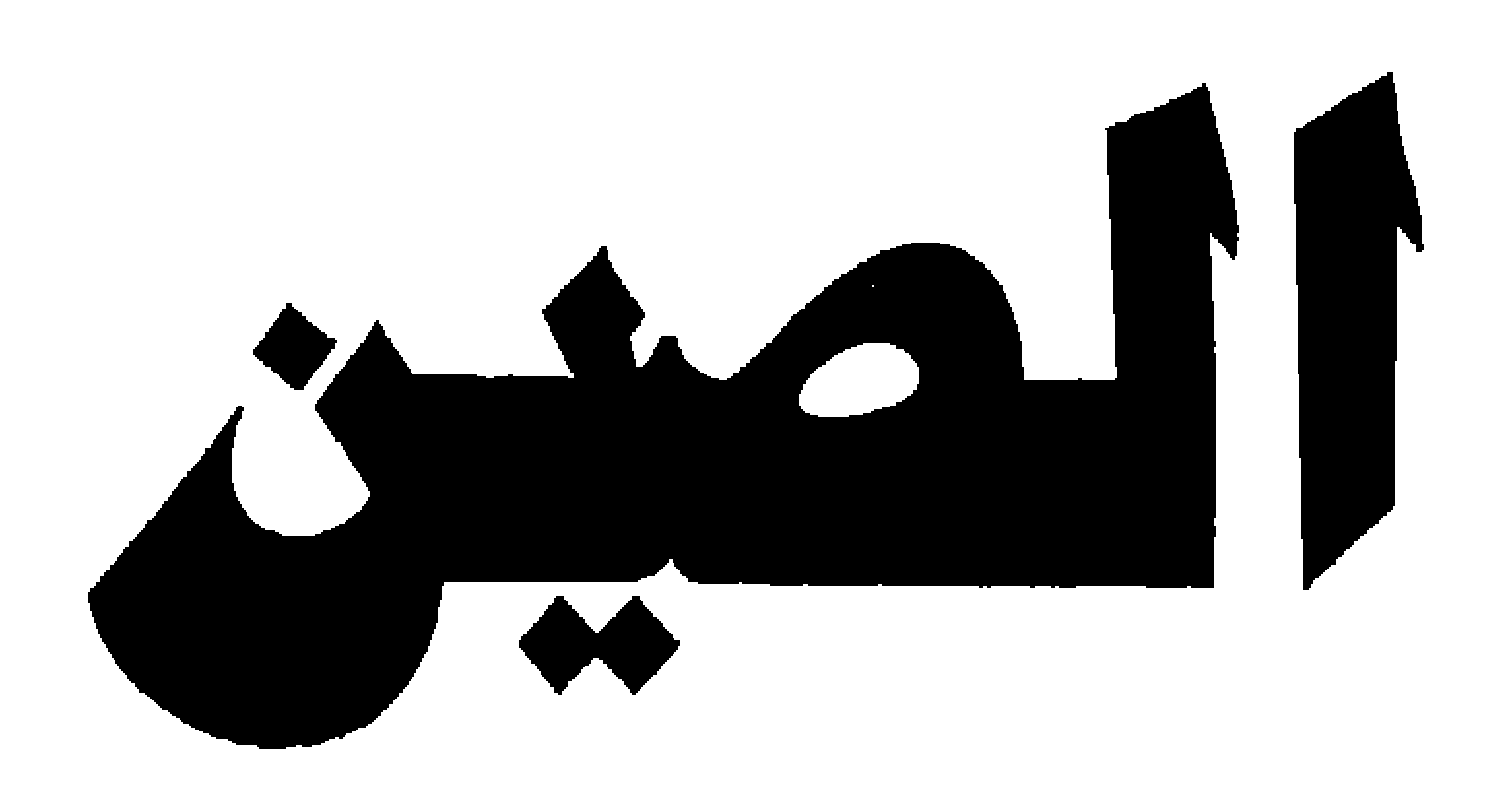
والحق، كما أومن به، هو شخص وكتاب؛ أما الشخص فهو الرب يسوع المسيح الذي قال عن نفسه «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤: ٦)، الله الذي ظهر في الجسد من ألفي عام، وهو الآن حي فوق جميع السماوات، يهب الإنسان سلاماً وأماناً وخلاصاً روحياً أبدياً إن لجأ إليه.

والكتاب هو الكتاب المقدس، والذي هوجم على مر تاريخه أشرس الهجمات، تارة بالحرق وتارة بالمنع وتارة بالنقد، إلا أنه صمد وحطم معاول هدمه ولم ينهدم هو. هذا الكتاب الذي كرست حياتي لدراسته بكل تجرد وحيادية، فإذ باقتناعي به يزداد عمقاً وصلابة يوماً بعد يوم بأنه كتاب الله، كتاب الحق، والذي أرجو عزيزي القارئ أن يقتطع من يومه المشحون بالضغوط في زمن العولمة الرديء، وقتاً يقضيه مع الكتاب المقدس ليجد فيه فكراً ونوراً وغذاء، يحرر نفسه من أثقالها، ويرفع عنه ضغوطها، وينقذ عقله من ظلمات الكذب المنتشرة حولنا، بل ويقوده للحياة الأبدية المتوفرة

والمضمونة في الرب يسوع المسيح.

وإني أرجو كل قارئ مفكر مثقف أن يكون منصفاً في حكمه علـــى هـــذا العالم الحاضر من حوله، هل استطاع هذا العـــالم بكـــل حضارتـــه وتقدمـــه وعولمته أن يُسعد قلب إنسان ويطمئنه؟ وما قيمة كل هذا الصراع والتقـــدم إن كان يترك لنا في النهاية نفوساً خاوية وعقولاً فارغة وشباباً ضائعاً يلجـــأ إلى لعنف أو الإنتحار؟ هل تستأمن هذا العالم بوسائل إعلامه علـــى بيتـــك وأسرتك ونفسك؟ ألا تشعر معي أنك في احتيـــاج عميـــق لله القديـــر لكـــي يحميك روحياً ونفسياً أنت وأسرتك من الضياع الأدبي والمـــوت الروحـــي؟ وألا تشعر أنك تحتاج إلى فكر راق مقدس منير يحمي عقلك من تفاهات بـــل وقذارات العولمة الثقافية بكل ما تفرغه في البيـــوت والعقـــول مـــن خـــلال الأقمار الصناعية؟ ألا ترجع لله وكتابه؟ ليتك تفعل.




# معجزة القرن الواحد والعشرين

# الفصل السابع

# دور الصين في موقعة هرمجدون

«وعدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف. وأنا سمعت عددهم» (رؤيا٩: ١٦).

لا بد لمن يتابع التحولات والتغيرات الكبرى على ساحة السياسة العالمية أن يستوقفه ما تنشره وسائل الإعلام عن تصاعد وبروز دور الصين، سياسياً وعسكرياً، لتصير قوة عظمى على الساحة العالمية، ولتنافس القوة الغربية في السيطرة على العالم، أو على الأقل اقتسام الكعكة معها.

وعندما يكون المتابع لهذه التغيرات مُحبّاً لكلمة الله، شغوفاً بنبوتها، فإنه حتماً سيتساءل: ماذا يقول الكتاب؟

وفي الحقيقة لم يذكر الكتاب الصين بالاسم إلا مرة واحدة باسم "سينيم" في إشعياء٤٩: ١٢، وقد جاء ذكرها في صدد حديث الكتاب عن تدخل الله المعجزي في المستقبل، في بداية الملك الألفي، لإظهار عشرة أسباط إسرائيل الذين سباهم ملك أشور في القرن الثامن ق.م، والذين اختفوا وذابوا بين الشعوب، ولا يُعرف أين هم الآن، لذلك يقول عنهم في إشعياء٤٩: ٩

«قائلاً للأسرى اخرجوا للذين في الظلام اظهروا» وتكون النتيجة كما يسجلها في عدد١٢ «هؤلاء من بعيد يأتون وهؤلاء من الشمال ومن الغرب وهؤلاء من أرض سينيم».

وفي نفس المقطع يشير إلى الطرق التي سيسيرون فيها في طريق عودتهم من هذه البلاد، والتي منها الصين، إلى أورشليم، فيقول: «على الطرق يرعون وفي كل الهضاب مرعاهم. لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم، وأجعل كل جبالي طريقاً ومناهجي ترتفع» (إشعياء٤٩: ٩-١١).

هذه هي المرة الوحيدة التي يمكننا أن نقول عنها إن الكتاب أشار فيها صراحة إلى الصين. لكن هناك إشارتان في سفر الرؤيا (ص٩، ١٦) في غاية الأهمية لارتباطهما بأخطر الأحداث التي ستقع على الأرض بعد اختطاف الكنيسة وهي موقعة هرمجدون، هاتان الإشارتان وجهتا أفكار تلاميذ الكتاب المجتهدين إلى الصين.

*أولاً: رؤيا٩: ١٣-١٦*

«ثم بوَّق الملاك السادس، فسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب الذي أمام الله، قائلاً للملاك السادس الذي معه البوق: فُكَّ الأربعة الملائكة المقيَّدين عند النهر العظيم الفرات. فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة، لكي يقتلوا ثلث الناس. وعدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف، وأنا سمعت عددهم».

*والجزء الثاني: رؤيا١٦: ١٢-١٦*

«ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه

لكي يعدَّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس. ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات، تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آتي كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته. فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون».

من هذين الجزأين، والأجزاء المرتبطة بهما، اتفق الشرّاح الأفاضل على الآتي:

١- في نهاية سبع سني الضيق، والتي ستعقب مباشرة اختطاف الكنيسة من على الأرض، وتسبق مباشرة ملك المسيح على الأرض، ستكون هناك عدة قوى عسكرية أساسية تلعب الدور الأخير من المأساة العالمية. إحدى هذه القوى هي تلك المُشار إليها في رؤيا١٦:١٢ أنهم الملوك الذين من مشرق الشمس، والذين يقودون جيشاً قوامه مائتا مليون جندي مسلح بأحدث وأعقد الأسلحة النووية والإلكترونية موصوفة في رؤيا٩:١٧-١٩.

٢- هذه القوة العسكرية الشرقية الضخمة آتية من شرق الفرات، والذي كان قديماً هو الحد الشرقي للإمبراطورية الرومانية، أي أنهم ليسوا من الشعوب التي كانت بلادها ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية القديمة، والتي كانت تشمل كل بلاد الشرق الأوسط؛ أي أنهم من الشرق الأقصى.

٣- هذه القوة العسكرية غرضها الأساسي هو تدمير القوة الغربية المُشار

إليها بالثلث (تكررت كلمة "الثلث" ١٢ مرة بالارتباط مع الأبواق، وهي تفيد الثلث الغربي من الإمبراطورية الرومانية، وهو الذي سيعود للحياة مرة أخرى في صورة أوروبا المتحدة).

إلا أن هؤلاء الشرّاح الأفاضل إختلفوا على شيئين هما:

١- هل جفاف نهر الفرات حرفي أم معنوي؟

فالبعض قال إن تجفيف النهر سيكون حرفياً، إذ أن الفرات يُعتبَر عائقاً ومانعاً مائياً رهيباً يعوق تقدم القوات البرية، والتي ثبت اليوم أنها لازمة لحسم أي حرب، ذلك لأن عرض الفرات ١,١كم وطوله يصل إلى ٢٨٨٠ كم تقريباً. وقالوا إنه لا يصعب على الرب أبداً أن يجفّفه بإحدى الكوارث الطبيعية والتي ستكثر في أيام الضيقة العظيمة. كما أن الرب الذي سبق وجفف بحر سوف والأردن في الماضي، لن يعسر عليه تجفيف الفرات في المستقبل.

وآخرون قالوا إن التجفيف هنا معنوي، والمقصود به نزع السلام من المنطقة، حيث أن النهر يُشار به إلى السلام، وذلك بترحيل القوات المرابضة في منطقة الخليج إيذاناً ببدء الحرب.

ولكني أعتقد أن الرأي الأول هو الأكثر دقة، لتوافقه مع الأحداث الجارية والوضع المعاصر للقوى الشرقية وعلى رأسها الصين.

٢- أما الأمر الثاني الذي اختلف عليه الشرّاح، وهو الأهم، فهو جنسيات هؤلاء الملوك الآتين من شرق الفرات. فالبعض قالوا إنهم تحالف دول الشرق الأوسط تحت قيادة ملك الشمال؛ ولهذا الرأي وجاهته لتوافر الدافع القوي عند تلك الشعوب المتحالفة مع ملك الشمال لتدمير القوة الغربية الحامية لإسرائيل، لكنه ضعيف إذ أنه يصعب توافر

العدد الهائل والإمكانيات الحربية الرهيبة المذكورة هنا عند هذه الدول.

والرأي الثاني يقول إن هؤلاء الملوك سيأتون من دول الشرق الأقصى، وعلى رأسها الصين أو على الأقل بزعامة وقيادة الصين، وأعتقد أن هذا الرأي هو الأكثر دقة لأسباب عديدة:

أ- قول الكتاب: «الملوك الذين من **مشرق الشمس**».

ب- توافر العدد الهائل؛ فمنذ فترة طويلة أعلنت الصين أنها قادرة على تجنيد جيش قوامه ٢٠٠ مليون جندي.

ج- توافر العتاد الحربي المعقَّد للغاية والذي يناطح القوى الغربية.

نشرت جريدة الأهرام القاهرية في ٤ ديسمبر ١٩٩٩، تحت عنوان "المركبة المسحورة: نصر صيني جديد"، تحقيقاً مطوّلاً، بدأته بهذه المقدمة الجميلة ذات المعاني البليغة: **"جاء في قصة صينية لـ جين جيانج أن النعامة رأت طائرا يحلق في كبد السماء، ثم يأخذ في الارتفاع حتى يتغلغل بين السحب. فسألت طائرا بجانبها: من هذا الذي يطير على ارتفاع كبير هكذا؟ فأجاب الطائر: هو النسر. هزت النعامة رأسها بالنفي قائلة: لا، أبدا، لا يمكن أن يكون هو، فقد رأيته بأم عيني في السنة الماضية وهو لا يعرف الطيران، فقد كان يتدرب عليه وهو في حالة يرثى لها. فأجاب الطائر: كيف تنظرين إلى أمر اليوم بعين الأمس، لقد صار النسر اليوم من أمهر الطيور تحليقاً. أصرت النعامة على رأيها، لكن عندما هبط النسر نحوها، وطار بجناحيه القويين مارا أمامها، أخذتها الدهشة، ولم تعد تستطيع إنكار هذه الحقيقة"** .

ونشرت الجريدة، بعد هذه المقدمة البليغة، ذات المعنى العميق،

والتي تؤكد أن من يتجاهل دور الصين وقوتها لـن يكـون أكـثر حكمة من هذه النعامة، خبراً عن اقتحام الصين للفضاء، إذ أرسلت أول مركبة فضاء غير مأهولـة إلـى الفضـاء الخـارجي، ثـم استعادتها. لتنضم رسمياً إلى السباق النخبوي العالمي، روسـيا و الولايات المتحدة، من أجل إرسال رحلات مأهولة إلـى الفضـاء الخارجي. وكانت المركبة تحمل اسم "شين زهـو" أي المركبـة المسحورة. وقد شقت طريقها إلى الفضاء الخارجي علـى متـن صاروخ متعدد المحركات، صيني الصنـع، مـن فئـة المسـيرة الطويلة، انطلاقاً من مركز "جيوكوان" لإطلاق الأقمار الصناعيـة، في مقاطعة جانسو بشمال غرب البلاد، وذلك في تمام ٦,٣٠ مـن صباح يوم السبت ٢٠ نوفمبر ١٩٩٩، بتوقيت بكين. وقد تمكنـت المركبة من الدوران حول الأرض ١٤ مرة، من قبـل أن تصـدر إليها الأوامر بالعودة إلى الأرض من جديد، حيث هبطت المركبـة في الموقع المحدد لهبوطها في تمام الساعة ٣,٣٠ من صبـاح ٢١ نوفمبر بتوقيت بكين؛ بعد رحلة ناجحة استغرقت ٢١ ساعة.

ويسترسل التحقيق في سرد معلومات غاية فـي الإثـارة عـن القدرة التقنية التي وصلت إليها الصين.

ء- توافر الدافع القوي لدى تلك الدول، وخاصة الصين، لتكـون قوة عُظمى في مواجهة القوة الغربية لأوروبا المتحدة.

وربما يؤكد هذا الفكر ما أنقله لك من جريدة الأهرام القاهرية من مقـالات قصيرة، ففي الأولى وهي بعنوان "*حلم القرن المقبل*" يذكر الكاتب أن أكـبر أحلام القرن المقبل موجود في بكين، وهو أن تصبـح الصيـن فـي القـرن

الحادي والعشرين قوة عظمى. وفي الثانية بعنوان *"وتعود غداً"* والمقصود عودة ظهور التسلح في العالم بين قوتين عظميين، هما الولايات المتحدة والصين. والثالثة وهي أخطرهم بعنوان *"ساعة الجيش الصيني"*، أي أن الساعة الحالية ليست ساعة الجيش الأمريكي، لكنها ساعة الجيش الصيني، بمعنى أن دوراً كبيراً ينتظره في القرن المقبل هذا هو الجيش عينه الذي تنبأ عنه الرسول يوحنا من ألفي عام.

وربما يتذكر القارئ التوتر الحاد بين الصين والغرب، ممثَّلاً في دول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة، في عام ١٩٩٩، بسبب قصف قوات الناتو للسفارة الصينية في صربيا، ثم صفقة الصواريخ التي كانت أمريكا تعتزم بيعها لتايوان، وما كان كل هذا – من وجهة نظري – سوى جس نبض الصين وقياس قوة ردود أفعالها تجاه القوى الغربية، باعتبار أنها القوة العظمى المنتظر ظهورها.

وقبل أن أختم تعليقي، عزيزي القارئ، وأتركك مع نص هذه القصاصات، أوّد أن أنقل لك من كتاب "تلخيص شرح سفر الرؤيا" للأخ الحبيب يوسف رياض، ما كتبه في هذا الصدد على صفحة ١٠٥ من الطبعة الثالثة، إذ يقول:

**"بدأت الصين في إنشاء طريق يبدأ من الصين إلى التبت إلى إيران حتى سيناء، وقد افتتح جزؤه الأول عام ١٩٧٨، ويعتبرونه معجزة الصين الجديدة، إذ قام به ١٠ آلاف عامل صيني لمدة ثماني سنوات، شقوا الطريق في بعض الأجزاء الجبلية الوعرة بارتفاع ٥.٥ كم، وكثيرون يعتبرونه سور الصين الحديثة. ولقد اعترضت الهند عليه وقالت إن هذا الطريق يهدد السلام في آسيا، لكن لا الهند ولا غيرها**

يعرف الخطورة الحقيقية لهذا الطريق، كما سيتضح بعد اختطاف الكنيسة، وكما نفهمه من الحديث عن سكب الجام السادس".

## نص القصاصات

**القصاصة الأولى: بتاريخ ٩٩/٤/٣ بعنوان حلم القرن المقبل**

الدنيا على مشارف القرن الحادي والعشرين، وكل بلد تجول بخاطره الأحلام والأمنيات، وأكبر أحلام القرن المقبل موجود في بكين، وهو أن تصبح الصين قوة عظمى. ويكاد لسان حال هذا العامل الصيني (منشور صورته بجانب المقال) ينطق بالحلم وهو يعلق خريطة ضخمة لبلاده على جدران قاعة المؤتمرات في شنغهاي، وعلى الخريطة ضمن أراضي الصين: تايوان وجزر سبراتلي والتي تتنازع عليها ٥ دول أخرى، فهل ستكون الأحلام الصينية سعيدة؟

**القصاصة الثانية: بتاريخ ٩٩/٥/٢٩ وعنوانها وتعود غداً**

في القرن المقبل تعود إلى الوجود ظواهر من قرن سيكون قد مضى، منها سباق للتسلح بين قوتين عظيمتين. فقد بدأ سباق التسلح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من القرن العشرين، وانتهى خلاله، وسيعود في أول القرن الحادي والعشرين بين أمريكا والصين. القيادة الصينية تهيئ أذهان الشعب لتكاليف وأعباء سباق التسلح بكتب تصدر عن القوة العسكرية الأمريكية مثل هذا الكتاب الذي يتصدر واجهة عرض في بكين (منشور صورته بجانب المقال).

**القصاصة الثالثة: بتاريخ ٩٩/٦/١٣ وعنوانها ساعة الجيش الصيني**

تدق الساعة مؤذنة بنهاية قرن وبداية آخر، وفي بكين يقولون دقت ساعة الجيش الصيني، بمعنى أن دورا كبيرا ينتظره في القرن المقبل يتمثل في حماية الاستقلال

**الوطني وتأمين مصالح الصين القارية والعالمية، وأصبح شعب الصين مهيأ لتحمل عبء الإنفاق على قوات عصرية، بعد أن استعاد الجيش الصيني الثقة الشعبية التي فقدها حين أخمد مظاهرات الديمقراطية في بكين عام ١٩٨٩، فقد حقق إنجازات كبيرة أخيرا في مكافحة الفيضانات وحرائق الغابات وأنقذ أرواح أعدادا كبيرة من المدنيين. وفي متحف عسكري صيني، يسير هذا الجندي (منشور** صورته بجانب المقال) **بجوار ساعة أسموها "ساعة الجيش" تباع للجمهور.**

* * * *

إذاً فالجيش الذي تنبأ عنه الكتاب من ألفي عام والطريقة التي وصفها الكتاب من ألفي عام، ها نحن نقرأ عنها على صفحات الجرائد اليوم.

نعم، إننا نعيش في عالم يغلي، وكالمرجل الفائر قارب على الانفجار، إلا أننا نرقب غليانه لا بتوتر الخائفين، بل بسلام الواثقين.

وحتى إذا رأينا كل ما يؤكد لنا قرب الانفجار، فإننا نستند على الوعد الكريم الذي قال: «سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتجرِّب الساكنين على الأرض» :(رؤيا٣: ١٠). نعم، فنحن ننتظر حبيبنا وعريسنا من السماء، الذي سينقذنا من الغضب الآتي (١تسالونيكي١: ١٠). وفي انتظاره نغني هاتفين: «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه **نخلص به من الغضب**» (رومية٥: ٨،٩).

وكم أرجو الله من قلبي أن يعطي بصيرة واقتناعاً لكل من ما يزال يعيش دون يقين الخلاص، ليمعن التفكير في مستقبل مُظلم خطير بدون المسيح إذا أجّل اتخاذ قرار التوبة ونوال الغفران.



## الباب الرابع

# الزلازل

## إتمام صريح لنبوة المسيح

# الفصل الثامن

# زلازل عظيمة في أماكن مختلفة

«وتكـون زلازل عظيمـة في أمـاكن ومجاعـات وأوبئـة. وتكـون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء» (لوقا٢١: ١١).

٣٠ ألف قتيل! انهيار ٢٠ ألف منزل! تشريد نصف مليون نسمة!

هذه هي خسائر زلزال تركيا، وهو واحد من أربعة زلازل حدثـت فـي أقل من شهر في نهاية صيف ١٩٩٩، والعجيب أنها حدثت في ثلاث قـارات مختلفة، وملأت أخبارها المزعجة الناس بالهلع وبالذعر.

وعلى الرغم من كوننا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يُحسـب، إلا أننا حزنا وتألمنا لِما أصاب الناس من دمار، وصلّينا أن يحفظ الله بلادنا مـن مثل هذه الزلازل، خاصة أننا لسنا بمنأى عنها. لكننا لا يمكننا أن ننكر تولـد شعور داخلي خفي، عبارة عن تيار خفيف دافئ من السلام والطمأنينة، ذلـك لأن هذه الصورة، رغم ظلامها الشديد، تحـوي بقعـة صغـيرة مضيئـة لا تستقبلها إلا عين الإيمان لقلب يحب كلمة الله ويخشع أمامـها، ونفـس تـهيم بحب سيدها تترقب بين لحظة وأخرى سرعة مجيئه.

لقد سأل يوماً التلاميذ معلمنا الوحيد عن علامة مجيئه وانقضـاء الدهـر،

فأجابهم في حديث طويل سجله متى في إنجيله أصحاح ٢٤، وفيه ذكر السيد، ضمن ما ذكر، علامة هامة تسبق مجيئه ظاهراً بالقوة والمجد على سحاب السماء ليملك على كل الأرض؛ وهي الزلازل، فقال: «وتكون ... زلازل في أماكن» (متى٢٤: ٧، مرقس١٣: ٨)، ويضيف لوقا الطبيب الحبيب – والذي تتبع كل شيء بالتدقيق (لوقا١: ٣) – أنها زلازل عظيمة، إذ يقول: «وتكون زلازل **عظيمة** في أماكن» (لوقا٢١: ١١).

ومن الجميل أن نعرف أنه في الأصل اليوناني وفي كل الترجمات الإنجليزية – وعلى رأسها ترجمة داربي – وفي الأناجيل الثلاثة تأتي العبارة «أماكن مختلفة» وليست مجرد أماكن. «*there shall be... great earthquakes in different places*».

وأحياناً نسمع البعض يسخرون من أولاد الله الذين يرون في كثرة الزلازل علامة أكيدة على قرب مجيء الرب ظاهراً بالقوة والمجد، ويقولون إنه منذ بدء التاريخ والزلازل تحدث في الأرض، فلا جديد في هذا. إلا أننا نود أن نلفت أنظارهم إلى دقة وروعة كلام المسيح الذي يحوي ثلاث حقائق لا حقيقة واحدة، فهو لم يقل إن الأيام التي تسبق مجيئه تتميز بحدوث زلزلة هنا أو هناك، فهذا فعلا يحدث من بدء الخليقة، لكن لاحظ معي هذه الحقائق الثلاث الجميلة في دقتها والتي وردت في كلام المسيح:-

**أولاً: زلازل بالجمع وليس بالمفرد**

وربما يتعجب القارئ العزيز عندما يعلم أنه من ١٩ مرة وردت كلمة زلزلة في كل الكتاب المقدس، لم تأتِ بالجمع إلا في هذا الحديث، والذي فيه يتحدث الرب عن علامات مجيئه، وذكرت فيه بالجمع ثلاث مرات. وهذا

يعني أن الزلازل تحدث بالفعل من بدء التاريخ والكتاب سجل هذا، لكنها لن تحدث بكثرة ويتسارع معدل حدوثها إلا قُبيل مجيء الرب*.

### ثانياً: في أماكن مختلفة

لقد ركّز الرب يسوع في كلامه على هذه النقطة حتى ذكرها البشيرون الثلاثة، فهي في أماكن مختلفة *different places or diverse places*، وهذا ما يحيّر علماء الزلازل في هذه الأيام. فمن بدء التاريخ تحدث الزلازل في مناطق محدودة جداً تُعرف عندهم بحزام الزلازل، أما ما يلفت النظر الآن حدوث أربعة زلازل في أقل من شهر (كثرة) وفي ثلاث قارات مختلفة (أماكن مختلفة)! كما أننا نرى هذا واضحاً أيضاً في بلادنا والتي أصبح لا يمر عليها عام دون زلزال أو أكثر، رغم أنها ليست من ضمن مناطق الزلازل المعروفة.

### ثالثاً: تكون زلازل عظيمة

كلمة "عظيمة" باليوناني *Mega*، وقد جاءت ٦ مرات فقط كوصف للزلازل، ولم تَرِد في الثلاث عشرة مرة الأخرى. والعلماء اليوم يؤكدون - كما سنرى - أن الازدياد الرهيب في تعداد الزلازل هو بصفة خاصة في الزلازل الكبرى، والتي تصل قوتها إلى ٧ درجات أو أكثر بدرجات مقياس ريختر، وهي التي يسمونها بالإنجليزية *Major*. ومن العجيب أن هذه الكلمة *Major*، والتي يستخدمها علماء الزلازل، هي الترجمة الإنجليزية لنفس لكلمة

* مجيء الرب: هذا التعبير يُقصد به أحياناً «الاختطاف»، أي اختطاف الكنيسة للسماء لملاقاة الرب في الهواء، وأحياناً أخرى يُقصد به «الظهور»، أي ظهور المسيح لكل الناس عند مجيئه ووصوله للأرض، وسيكون ذلك بعد الاختطاف بحوالي سبع سنوات. وربما يكون من الأفضل أن نستعمله لوصف الظهور أكثر من الاختطاف، إذاً إننا في الاختطاف نرى بالأكثر ارتحال وذهاب الكنيسة للمسيح، بينما في الظهور نري بالأكثر مجيء ووصول المسيح للأرض.

اليونانية *Mega*، والتي استخدمها السيد ليصف بها نوع الزلازل التي ستحدث كعلامة لمجيئه.

وقبل أن أنقل لقارئي الفاضل ما يقوله العلماء اليوم مصداقاً لقول سيدنا من ألفي عام، أوّد في البداية أن أوضح شيئاً عن هذه الكرة الغامضة التي نعيش فوقها، والتي تحدث فيها هذه الهزات. تلك الكرة التي قال عنها أحد العلماء المرموقين: **"إن أفضل منظار على وجه الأرض لن يتيح لنا رؤية أكثر كواكب المجموعة الشمسية غرابة، كما أن أعظم سفينة فضاء لن يمكنها أن تأخذنا إليه، هذا الكوكب الغامض والمجهول إلى حد بعيد، ليس هو إلا الأرض ذاتها التي نطأها بأقدامنا"**.

وقال أيضاً: **"في وقت ما، درج واضعوا الخرائط على استخدام تعبير الأرض المجهولة يطلقونه على ما لم يكتشف بعد من الأرض، وقد كان نصف العالم تقريبا مجهولاً، إلا أن هذه المساحة بدأت في التقلص حتى لم تعد تمثل سوى بقاعاً قليلة للغاية على الخرائط، على أننا يمكننا الآن بكل بساطة أن نمسك بالقلم ونكتب على خريطة العالم كله من قلب الأرض وحتى الغلاف الجوي: الأرض المجهولة"**.

والغرض من ذكر بعض المعلومات عن هذه الكرة الغامضة التي نعيش عليها هو قيادة القارئ الفاضل للمزيد من تعظيم الله وإجلاله، هذا الذي يعلقها على لا شيء ويحفظها بكل ثقلها ومَن عليها في مدارها آلاف السنين، فقط بكلمة قدرته! ثم أننا نرغب أيضاً في أن يتضاءل مدعي العلم والثقافة في عيني نفسه، وهو يقرأ عن هذه الكرة العجيبة بمقاساتها وأوزانها وسرعاتها وثباتها واستقرارها في مدارها، ثم يتذكر أنه ربما سار يوماً وراء الجهال الذين أنكروا وجود خالق لها، وأرجعوا وجودها لمحض الصدفة!! ويكفي أن نقول إن أعظم العلماء وأقدرهم أمثال "نيوتن" و"أينشتين" وغيرهم

يقرّون، بكل خشوع واتضاع، بحتمية وجود كائن قدير حكيم أتقن العالمين وما زال يحفظها حتى الآن. بل إن أعظم العلماء المعاصرين يقرّون حتى الآن بجهلهم الشديد بما هو تحت أقدامنا، فما بالك بما هو فوق رؤوسنا!

الأرض عبارة عن كرة ضخمة تسبح في الفراغ، في مدار محدَّد، ومعلقة على لا شيء كما ذكر الكتاب (أيوب٢٦:٧). يصل طول محيطها إلى ٤٠ ألف كم، ومحورها إلى حوالي ١٢٧٥٠كم. ويصل وزنها إلى حوالي ٥٩٧٧ مليون مليون مليون طن! ولك أن تتخيل أن هذه الكتلة الجبارة، بما عليها من جبال وبحار وبشر ومدن، تدور حول نفسها في مقابل الشمس من مشرق إلى مغرب بسرعة تبلغ حوالي ١٦٨٠كم/ساعة (وهي سرعة تبلغ ضعف سرعة الطائرة النفاثة التي تعبر المحيط) لتكمل دورة في يوم واحد. وهي أيضاً، في ذات الوقت الذي تدور فيه حول نفسها، تطير لتدور في مدار حول الشمس طوله ٣٠٠ مليون كيلومتر بسرعة ٣٠كم/ثانية أي ١٠٨٠٠٠ كيلومتر/ساعة (أي حوالي ٦٠ مرة قدر سرعة دورانها حول نفسها و١٢٠ مرة قدر سرعة الطائرة النفاثة) لتنهي هذا المدار في سنة كاملة! ثم تدور هي وبقية كواكب وأقمار المجموعة الشمسية والشمس نفسها حول محور في داخل مجرتنا. ثم المجرة نفسها - والتي يبلغ عدد نجومها حوالي مائة ألف مليون نجم من أصغرها الشمس(!) - كل هذه المجرة تدور في الفراغ الكوني الرهيب حول محور آخر! لك أن تتخيل عزيزي القارئ هذه التي نقف عليها ونظن أنها ثابتة، هي في كل لحظة تتحرك أربع حركات، دون أن تسمع لها صوتاً ولو خافتاً، ودون أن تنحرف مليمتراً، ودون أن تسقط من عليها جراماً واحداً ليضيع في الفضاء الخارجي؛ أربع حركات في كل لحظة، بسرعات خيالية، بدقة بالغة، لم تختل، لمدة لا تقل

عن ستة آلاف سنة... أفلا يوجد لهذه من حافظ قدير؟

ولك أن تتخيل أن هذا الحافظ هو الذي جاءها في ملء الزمان مولوداً في مذود!!

لكن كل هذا لا يمثل حيرة بالنسبة للعلماء، لكن حيرتهم تبدأ عندما يحاولون فهم ما هو داخل هذه الكرة الغامضة؛ فباطن الأرض عبارة عن ألغاز لم يحلها إلى الآن العلماء، وكل ما وضعوه لوصفه ليس إلا نظريات، أذكر لك أشهرها وأكثرها قبولاً:

تتكون الكرة الأرضية من ثلاث طبقات من قشرتها الخارجية وإلى مركزها في الداخل كالآتي:

١- **القشرة الخارجية**: وتمتد من أعلى قمة للجبال، وحتى حوالي عشرة كيلو مترات تحت أعمق نقطة في قاع المحيطات، والتي يبلغ بعدها تحت سطح البحر حوالي عشرة كيلومترات، ليصل سُمك القشرة الأرضية كله إلى حوالي ٣٠كم. وتتكون هذه القشرة من طبقتين من الألواح الصخرية الضخمة: العُليا خفيفة مثل الجرانيت، والسفلى ثقيلة مثل البازلت. وتصل درجة الحرارة عند نهاية القشرة إلى حوالي ٨٧٠ درجة مئوية!

٢- **ستار اللب**: وهو تكوين صخري رهيب، يحيط هو بلُب الأرض (قلبها) والذي يقبع داخله، وتحيطه هو من الخارج قشرة الأرض. ويصل سُمكه إلى حوالي ٤٧٤٠ كم، وتتراوح درجة الحرارة فيه ما بين ٨٧٠ درجة مئوية عند سطحه إلى حوالي ٤٠٠٠ عند حافته الداخلية.

٣- **اللب الداخلي**: وهو عبارة عن كرة رهيبة من الحديد والنيكل في حالة سائلة، يصل سُمك نصف قطرها فقط إلى حوالي ١٥٨٠ كم، وتصل درجة الحرارة فيه إلى حوالي ١٢ ألف درجة مئوية. ويُظَن

أن هذا اللب هو مصدر الجاذبية الرهيبة والتي تُمسك بنا جميعاً ملتصقين بالأرض، فلا ننزلق من عليها ولا نطير في الفراغ.. وهنا يتبادر إلى ذهني سؤال: ألا يستطيع حامل هذا الكون بكلمة قدرته أن يحررنا في لحظة الاختطاف من جاذبية هذه الأرض، لننجذب إليه هو المصدر والمركز لكل الكون؛ فنطير في السُحب لملاقاته؟

والآن نأتي لسؤالنا المهم:

**كيف تحدث الزلازل في الأرض؟**

استطاع العلماء أن يحددوا الآتي:

١- على أبعاد تتراوح بين ٦٠ إلى ٦٠٠ كم تحت سطح البحر، يوجد ما يُسمى بؤرة الزلزال، ويبدأ حدوث الزلزال عندما تصدر هذه البؤرة موجات ضغط عاتية تنطلق إلى الخارج في اتجاه القشرة الأرضية.

٢- يوجد بالقشرة الأرضية نقاط ضعيفة تُسمَّى بالفوالق، وعندما تصل موجة الضغط الآتية من بؤرة الزلزال إلى فالق من الفوالق، تتمزق القشرة عنده (لاحظ أننا نتكلم عن تمزق صخور سُمكها يُقاس بعشرات الكيلومترات، ولسنا نتكلم عن قشرة برتقال).

٣- بعد ما يحدث التمزق، لابد أن تليه محاولة إعادة اتزان، فتنزلق الألواح الصخرية الممزقة (لاحظ أننا نتكلم عن لوح قد يحمل فوقه قارة بأكملها، وليس عن لوح خشب)، وقد يكون هذا الانزلاق رأسياً أو أفقياً، وعندئذ تحدث الهزة الأرضية والتي يسمونها الزلزال.

لكن ما سر هذه الموجات؟ ولماذا تنطلق للخارج؟ هذا ما لم يعرفه العلماء بعد. لكن يمكننا أن نجيب من كتاب قديم في الكتاب المقدس هو سفر أيوب والذي يقول:

«هو حكيم القلب وشديد القوة، من تصلّب عليه فسلم؟ المزحزح الجبال ولا تعلم، الذي يقلبها في غضبه، المزعزع الأرض من مقرها فتتزلزل أعمدتها» (أيوب٩:٤-٦)، ويقول أيضاً: «أرض يخرج منها الخبز، أسفلها ينقلب كما بالنار ... إلى الصوان يمد يده يقلب الجبال من أصولها» (أيوب٢٨:٥، ٩)، وأيضاً «مُدَوَّرة مُنقلبة بإدارته لتفعل كل ما يأمر به على وجه الأرض المسكونة» (أيوب٣٧:١٢).

إذا من الواضح أن الله هو الذي يسمح بحدوث هذه الزلازل ليوصل صوت قوته وغضبه للإنسان الغافل، وما أكثر الدمار والرعب والهلع بل والأمراض النفسية التي تحل بالبشر بسبب الزلزال، هذا الحدث الرهيب قال عنه أحد علماء الزلازل: **"سعيد هو الإنسان الذي تنتهي حياته على الأرض دون ان يواجه في يوم عصيب تجربة زلزال مدمر"**.

لكن الآن، ومصداقاً لقول سيدنا «تكون زلازل عظيمة في أماكن مختلفة»، فلا أعتقد أنه سيوجد هذا الإنسان السعيد، بعد أن صارت الزلازل لا حدثاً يذكره الناس، بل خبراً يومياً مفروضاً على قرّاء الصحف.

والآن أنتقل بك عزيزي القارئ إلى شيء يهمنا جداً، وهو ما يقوله علماء الزلازل عنها في الوقت الحاضر، لأريك كيف تتحقق نبوة المسيح في هذه الأيام، ولكي تتأكد معي أننا قاب قوسين أو أدنى من مجيء المسيح بالقوة والمجد، والذي يسبقه اختطاف الكنيسة بحوالي سبع سنوات.

أولاً: ليستر ديل راي في كتابه "الأرض الغامضة" - ترجمة د.علي رمضان ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، يقول في صفحة ٧٧:

**"طبقاً لنظرية سلسلة الأمواج المضمحلة كان ينبغي أن تكون الأرض (الطول**

عمرها) قد استقرت الآن، بل وأصبحت عجوزا هادئة راضية في وسط عمرها، إلا أنه لا يوجد أي دليل على صحة هذه الفروض، ***بل ويبدو أن الأرض في هذه الأيام قد مسها الجنون وأصابها الضيق المصحوب بحدة الطبع، فإذا كانت الأرض بيضة كبيرة كما جاءت في بعض التخيلات، فلنتوقع أنها قد أوشكت أن تفقس***".

ثم يضيف كلاماً عجيباً، يُرى مخالفاً لتوقعات العلماء، إلا أنه منسجم تماماً مع كلام رب العلماء في متى٢٤، إذ يقول:

"خلال عشرات قليلة من السنين، زاد تكرار حدوث الزلازل - خاصة الكبيرة منها - عما كان متوقعاً، كما أنه قل الزمن الذي يفصل بين الزلازل الشديدة، وهذا لا يوحي أبدا بأن الأرض في سبيلها إلى الاستقرار".

ثانياً: موسوعة المعرفة وكتاب "أسرار الأرض" ترجمة هاشم أحمد محمد (الهيئة المصرية العامة للكتاب) في صفحة ٣٣، يقول الكاتب:

"يُقدِّر العلماء ***أنه يحدث الآن حوالي ٢٥٠ زلزال كل يوم في أنحاء متفرقة من الأرض***، إلا أنه من حسن حظ الناس أن معظمها يحدث تحت سطح البحر، كما أن معظمها ضعيف، أما الشديد منها والذي يشعر به الناس، فمنها ما تصل قوته التدميرية إلى عشرة آلاف مرة قوة أول قنبلة نووية".

ثالثاً: تقرير المسح الچيولوچي الأمريكي للزلازل بويلدر كولورادو *U.S. geological survey: earthquake report; Boulder Colorado*:

لقد ذكر هذا التقرير الحقائق التالية والتي أنقلها لك منه بالنص:

١. يحذر العلماء من أن الزلازل الكبرى التي حدثت مؤخرا ما هي إلا إرهاصات لزلزال رهيب مدمر سيهز الأرض كلها ويسمونه: الزلزال الكبير The big one وهو الذي سيكون أعظم زلزال تدميري في تاريخ البشرية كلها.

ولا بد أن أتوقف هنا قبل أن أسرد باقي حقائق هذا التقرير لأذكّر للقارئ العزيز أن الكتاب من أكثر من ألفي عام كلمنا عن هذا الزلزال الرهيب بتفصيل دقيق للغاية، ومن المحتمل أنه سيحدث في لحظة ظهور الرب يسوع، وسيكون أثره البالغ في أورشليم. وسأنقل لك ما ذكره الكتاب عنه في أكثر من موضع: «ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من العرش قائلاً: قد تم. فحدثت أصوات ورعود وبروق. **وحدثت زلزلة عظيمة، لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض، زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا. وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، ومدن الأمم سقطت...** وكل جزيرة هربت، وجبال لم توجد» (رؤيا١٦: ١٧-٢٠)! وأيضاً «فيخرج الرب ويحارب... وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق، فينشق جبل الزيتون من وسطه نحو الشرق ونحو الغرب وادياً عظيماً جداً، وينتقل نصف الجبل نحو الشمال، ونصفه نحو الجنوب» (زكريا١٤: ٣، ٤). ولقد حدث في نهاية عام ١٩٩٩، وبعد حدوث الزلازل السابق ذكرها بأيام قليلة، زلزال آخر في صحراء جنوب كاليفورنيا، وما يجذب الاهتمام أن هذا الزلزال قد شق الصحراء شقاً وأوجد فيها وادياً عظيماً!!

والآن أعود بك إلى باقي حقائق هذا التقرير:

**٢- يذكر التقرير هذه الإحصائية عن معدل حدوث الزلازل الكبرى في القرن العشرين(والتي تصل قوتها إلى ٧ درجة بمقياس ريختر):**

**أ- لقد كانت تحدث بمعدل زلزال واحد كل ١٠ سنوات من القديم وحتى بداية القرن العشرين.**

**ب- ابتداء من ١٩٠٠ وحتى ١٩٤٩ زاد المعدل إلى ٣ زلازل كبرى/عشر سنوات.**

**جـ- من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٩ حدثت ٩ زلازل كبرى!**

**د- من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٩ وصل المعدل إلى ١٣ زلزال كبير!**

**هـ- من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٩ وصل المعدل إلى ٥٦ زلزال كبير!**

**و- من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ زاد المعدل فجأة إلى ٧٤ زلزال كبير!**

**ي- أما عقد التسعينات، فقد وصل المعدل فيه إلى ١٢٥ زلزال كبير!!!**

رابعاً: تقرير مجموعة من العلماء الكنديين عن زلزال تركيا الأخير، والذي نشرته جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في ١٩/١٠/٩٩:

أنقل لك بالنص ما قاله هؤلاء العلماء، عزيزي القارئ، لكي تعرف باليقين صدق أقوال سيدنا العظيم وأيضاً قرب مجيئه:

١- في أقل من شهر واحد تابع العالم ٤ زلازل مدمرة اجتاحت تركيا وتايوان واليونان والمكسيك أي أنها وقعت في ثلاث قارات مختلفة.

٢- يحدث الآن حوالي ١٨ زلزالاً في المتوسط كل عام، تتراوح قوتها ما بين ٧- ٧,٢ ريختر إلا أن ٤ أو ٥ منها تصل في قوتها إلى ٧,٦ ريختر، وذلك طبقاً لمقاييس مراكز الجيولوجيا المعترف بها دولياً.

٣- الخبراء في كندا لم يفاجأوا بوقوع هذه الزلازل، فهم يرون أن العالم قد اعتاد عليها!

٤- حذر فريق الخبراء الكنديين - الذين شهدوا على الطبيعة وقائع الكارثة التركية - الحكومة الكندية من أن الزلازل أصبحت من الأمور المعتادة، وأنه ليست هناك وسيلة لتفادي وقوعها، كما أنه ليست هناك أية دولة في العالم لديها حصانة منها.

٥- إن التقلبات العنيفة التي تشهدها الأرض في الفترة الأخيرة تُعَجِّل بهذه الهزات الأرضية، فالدولة التي اعتادت على هذه الهزات كل مئة عام،

من الممكن أن تقع الزلازل على أرضها في أقل من تلك الفترة. كما أن الدول التي كانت تحدث فيها هزات ضعيفة، من الممكن الآن أن تتضاعف قوة الهزات فيها.

٦- بقيت نقطة هامة في هذا التقرير تقول: "هناك ملاحظة صحيحة، لكنها تأتي من الهواة، وهي أن سلسلة الزلازل الأخيرة كلها وقعت في مناطق مليئة بالتجمعات السكنية، وعلى الرغم من أن الخبراء اعترفوا بهذه الحقيقة، فإنهم لم يجدوا لها تفسيراً علمياً حتى الآن!". إلا أننا نحن، في ضوء كلمة الله، يمكننا تفسير هذه الملاحظة، فنقول إن حامل كل الأشياء بكلمة قدرته ومعلِّق الأرض على لا شيء، عندما يسمح بهذه الزلازل المُرعبة، لا يقصد أن تشعر بها أسماك البحار أو أشجار الغابات، بل هو يريد أن يوصل صوتاً مدوياً مجلجلاً إلى آذان الناس الذين أصابتهم الغفلة وأعمتهم المادية وملأتهم الاختراعات الحديثة بأمان وهمي كاذب؛ فظنوا أن الأرض ثابتة وأنهم هم ثابتون فيها! يا ليت صوته يصل ويا ليت قلوبهم تستجيب.

ألا يستفيق كل غافل.. ألا يتعقل كل رافض لنداء نعمة الله والتي تهب سلاماً عجيباً في الحال لا يزعزعه زلزال ولا كارثة، بل تجعل النفس في حمى المسيح تغنى قائلة: «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» (مزمور٤٦: ١، ٢).

ويا ليت كل ابن لله يتذكر أن هذه الأرض غير الثابتة لن يصيبها في المستقبل فقط زلزال فقط، بل ستحترق هي والمصنوعات التي فيها، فلا داعي إذاً لإنفاق الحياة في ما هو متزعزع وزائل، بل «ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية، بخشوع وتقوى»

(عبرانيين١٢: ٢٨). وإذ نرى كل هذه صائرة، لنرفع رؤوسنا، عالمين أن اللقاء بسيدنا قريب، بل ونسمع أيضاً تحريض الرسول الذي يقول لنا «فبما أن هذه كلها تنحل، أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر» (٢بطرس٣: ١١-١٣).

# الباب الخامس



## السياحة وجنون الطوفان في الأرض

# الفصل التاسع

# كثيرون يطوفون الأرض بسرعة

«أما أنت يا دانيآل، فأخفِ الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية. كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد» (دانيآل١٢: ٤).

منذ حوالي ألفين وخمسمائة عام، برز من بين شعب إسرائيل شاب تقي، أنعم الله عليه بالحكمة والفهم، ولأنه تميز بالمخافة الشديدة للرب، والقداسة العملية، فقد زادت فطنته جداً، بل وصارت حكمته مضرب الأمثال (حزقيال٢٨: ٣). ولقد سُرّ الله بأن يكشف لهذا الرجل المحبوب؛ دانيآل، كل تاريخ شعب إسرائيل ابتداء من زمن دانيآل، حيث كان الشعب مسبياً، وانتهاءً بمجيء ابن الإنسان على سحاب السماء ليملك على كل الأرض ملكوته الذي لن يزول. وقد سجّل لنا دانيآل كل هذا التاريخ العجيب، بكل تفصيلاته الدقيقة، في سفره الشهير. وعندما وصل الرب في حديثه معه إلى نهاية تاريخ إسرائيل، ذكر لدانيآل علامات هامة للغاية تميز ما أسماه وقت النهاية.

وفي البداية، أود أن يتضح لقارئي العزيز أهمية هذه الكلمة: «وقت النهاية»، حيث أنها قد تكررت بصيغ مختلفة في هذا السفر عدة مرات؛ فيقول عنها «بلغ الوقت» (٧: ٢٢)، «نهاية الأمر» (٧: ٢٨)، «وقت المنتهى» (٨: ١٧)، «ميعاد الانتهاء» (٨: ١٩)، «وقت النهاية» (١١: ٣٥،٤٠؛ ١٢: ٤،٩).

وما يُعطي هذه الكلمة «المنتهى» أهمية كبرى أنها وردت على فم الرب نفسه في حديثه عن آخر الأيام وعلامات مجيئه ٥ مرات كالآتي: متى٢٤: ٦، ١٤؛ مرقس١٣: ٧، ١٣؛ لوقا٢١: ٩. إن هذه الكلمة تعني ببساطة شديدة أن هذا الوضع الحالي للأرض له نهاية، الوضع السياسي والاقتصادي والأخلاقي والديني والبيئي له نهاية، نعم سيأتي ميعاد الانتهاء، سيأتي المنتهى، لتبدأ معه فترة جديدة هي ملكوت الله بأوضاعه الجديدة المختلفة تماماً سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وروحياً وبيئياً.

والسؤال الآن: **هل جاء هذا الميعاد أم لا؟**

لقد أعطى الرب لدانيآل علامات كثيرة لهذا الميعاد؛ لوقت المنتهى. ومن هذه العلامات تلك العلامة الهامة التي نتناولها في هذه الباب والتي جاءت في (دانيآل١٢: ٤) «كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد»، وهي كما ترى علامة من شقين:

أولاً: **كثيرون يتصفحون.** ثانياً: **المعرفة تزداد.**

وسوف نتناول الشق الأول في مقالنا هذا ونترك الشق الثاني لمقال قادم

## كثيرون يتصفحون

ينبغي أن نعلم في البداية أن كلمة يتصفح هنا ليست هي الترجمة الدقيقة للكلمة العبرية التي وردت في النص الموحى به، فالكلمة العبرية هي "شوط" وتعني "يطوف بسرعة"، وقد وردت هذه العبارة في معظم الترجمات الإنجليزية ومنها ترجمة داربي هكذا: many shall run to and fro، أي كثيرون يروحون ويجيئون بسرعة. ولذا فقد أحسنت الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) عندما أوردتها هكذا: «كثيرون يطوفون الأرض».

ومن أقوى وأضمن الوسائل لمعرفة المعنى الأصلي لأي كلمة؛ هو البحث عنها في كل مرات ورودها الأخرى في النص العبري أو اليوناني الأصلي. وباستخدام هذه الوسيلة، نجد أن هذه الكلمة وردت في كل العهد القديم ١٢ مرة أخرى، ولم يحدث - في كل هذه المرات الاثنتي عشرة - أن ترجمت يتصفح، بل جاءت هكذا:

١- «يطوفون» (عدد١١: ٨)، «طُف» (٢صموئيل٢٤: ٢)، «طافوا» (٢صمموئيل٢٤: ٨)، «طوفوا» (إرميا٥: ١)، «طوّفن» (إرميا٤٩: ٣).

٢- «تجولان في كل الأرض» (٢أخبار١٦: ٩)، «الجولان في الأرض» (أيوب١: ٧؛ ٢: ٢)، «يجولون» (عاموس٨: ١٢)، «الجائلة» (زكريا٤: ١٠).

٣- «ملاحيك، ملاحوك» (حزقيال٢٧: ٨،٢٦).

أي أنها تُرجمت ٥ مرات طَوَفان، ٥ مرات جولان، ومرتين ملاحة (navigation). وهكذا يتضح لنا جلياً أن المعنى الحرفي والدقيق للكلمة هو الجولان والترحال في الأرض، أو بلغة العصر الحديث "السفر والسياحة".

واعتقد أن المترجم المجتهد الذي ترجمها هكذا في ترجمتنا العربية (وهي من أدق الترجمات) لم يجانبه الصواب كثيراً، إذ أن كلمة يتصفح في اللغة العربية تعني استعرض الشيء متأملاً إياه، وهو اضطر أن يترجمها هكذا ظناً منه أنها مرتبطة بما قبلها وبما بعدها، فقبلها كلمة سِفر أي كتاب وبعدها ازدياد المعرفة، فظن أنها تعني التجوال بين صفحات كتاب، بينما هي في الحقيقة تعني التجوال في الأرض.

على أي حال لم يعد من العسير على أي دارس لكلمة الله أن يعرف المعنى الفعلي لكل كلمة من خلال مقارنة الترجمات المختلفة.

والآن نسأل هذا السؤال: هل يخبرنا السفر الذي كُتب منذ حوالي ٢٥٠٠

سنة أن نهاية الأيام تتميز بكثرة السياحة والسفر؟ والإجابة، طبقاً لهذه العبارة، هي: "نعم". لكن هذا يتبعه سؤال آخر أهم بالنسبة لنا: **وهل نحن الآن في نهاية الأيام؟** هل حان وقت المنتهى الذي تكلم عنه دانيآل والمسيح؟ أعتقد أننا يمكننا أن نجيب عن هذا السؤال بالقول: "نعم" ،فقط إذا ما استطعنا أن نثبت أن القرن العشرين، ولا سيما العقود الأخيرة منه، تميزت بالآتي:

١- تطور وسائل المواصلات.

٢- كثرة عدد المسافرين.

٣- زيادة سرعة السفر.

٤- اشتعال الرغبة في السياحة عند معظم سكان العالم.

وهذا ماسنحاول أن نفعله الآن.

## ١. تطور وسائل المواصلات

في نهاية القرن الماضي، وبالتحديد سنة ١٨٩٣، قامت إحدى وكالات الأنباء باستطلاع فريد للرأي، كلفت فيه ٧٤ شخصية بارزة بكتابة مقالات قصيرة تصف بإيجاز، لا واقع الحال في أيامهم، بل تصوراتهم عن شكل الحياة بعد مائة عام، أي في أيامنا، وبالتحديد سنة ١٩٩٣. وقد نُشرت هذه المقالات التي كتبوها وقتئذ في بعض الصحف الأمريكية كنوع من الترويج الإعلامي الذي صاحب إقامة أحد المعارض في مدينة شيكاجو في عام ١٨٩٣. وعلى الرغم من أن أصحاب تلك التصورات كانوا من أذكى وأشهر وألمع شخصيات المجتمع الأمريكي في ذلك الوقت، حيث كان بينهم وزراء ومفكرون ورجال صناعة، إلا أنهم عجزوا جميعاً عن تخيل ولو النذر اليسير عما صنعه التطور الحضاري في أيامنا، ولا سيما من جهة السفر والمواصلات.

فها هو وزير الخزانة الأمريكية في ذلك الوقت، تشارلس فوستر، يتوقع أنه في سنة ١٩٩٣ ستحتفظ السكك الحديدية بمكانتها كأسرع وسيلة مواصلات!. أما السيناتور چون أنجالس فقد حلق بخياله وقال: "إنه في سنة ١٩٩٣ سيكون بمقدور الناس أن يستدعوا منطاداً لينقلهم من مكان لآخر بنفس السهولة التي يستدعون بها العربة التي تجرها الخيول"! أما أكثرهم طرافة فقد كان الچنرال چون واناميكار، وقد كان رئيس هيئة البريد في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان - ويا للعجب - من أشد الناس اهتماماً بمستقبل حركة البريد في العالم، إلا أنه قال إن بريد سنة ١٩٩٣ لن يجد أفضل ولا آمن من المركبات النظامية التي تجرها الجياد كوسيلة لنقله من مدينة لأخرى! أما من جهة المراسلات الهامة والخاصة، فهو يتصور أن يحملها (مخصوص) يركب جواداً سريعاً!!

وعلى الرغم من أن الألمان في ذلك الوقت تقريباً كانوا قد عرفوا السيارة، إلا أنه يبدو أن أخبارها لم تكن قد وصلت إلى أمريكا لبعد المسافة! أو، على الأرجح، أن تكون أخبارها قد وصلت، إلا أن الأمريكان لم يعبئوا كثيراً بها، إذ أنهم لم يتصوروا أن تكون هناك وسيلة مواصلات أفضل من تلك العربة الفاخرة التي تجرها الجياد القوية السريعة. وربما كان لهم العذر في ذلك بعض الشيء، إذ أن السيارة عند بدء ظهورها في أوروبا، كان الأوروبيون يفرون من أمامها صارخين، ظانين أنها وحش رديء ، وكان القانون الإنجليزي يلزم صاحب السيارة أنه إذا أراد أن يسير بها في الشارع، فلا بد أن يستأجر رجلاً يركض أمامها وهو يحمل راية حمراء يلوح بها لكي يحذر الناس من هذه الآلة المتحركة الضخمة التي تسير في الشارع! ويتضح من هذا القانون أن سرعة رجل يركض كانت أسرع من السيارة!! هذا كان الواقع في نهاية القرن الماضي، بل هذه كانت تصورات

المفكرين العظماء فيه عن واقع الحياة بعد مائة عام.

والشيء الغريب حقاً والذي يستوقفنا بشدة، أن البشر على الأرض ظلوا آلاف السنين يستعملون الدواب في سفرهم، وفي بضعة عشرات من السنين حدث هذا التطور المذهل الذي نراه بعيوننا الآن، أي أنهم على مدار ٥٩ قرناً من الزمان لم تتغير وسيلة مواصلاتهم، وفي قرن واحد تغيرت عشرات المرات، أ فليس هذا مثيراً للانتباه؟! ألا يثير هذا تفكير وحيرة أي مفكر؟! إن الملوك الفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد كانوا يركبون المركبة الملكية التي تجرها الجياد في فخر وسرور، كما أنه في القرن التاسع عشر بعد الميلاد كان ملوك الإنجليز (الإمبراطورية التي لا تغرب الشمس عن أملاكها في ذلك الوقت) يركبون ذات العربة التي تجرها الجياد بذات الفخر والسرور!! ثم في بضعة عقود قليلة ينتقل الإنسان من ركوب الحصان لركوب المركبة الفضائية ألا يثير هذا تساؤلنا؟

## ٢ـ كثرة عدد المسافرين في العالم

كان لابد أن يصحب تطور وسائل المواصلات زيادة في عدد المسافرين، لكن ما كان أحد يتخيل أن تكون أعداد المسافرين بهذا الشكل الذي نراه ونسمع عنه الآن. وإني أتذكر شخصيا أنه في الستينات، وربما أيضاً في بداية السبعينات، كان من يسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو إلى كندا تعمل له حفلة وداع حار، وعند عودته، بعد شهور طويلة طبعاً، كانت تعمل له حفلة استقبال أشد حرارة، وكثيراً ما كان يحدث أن يؤلف هذا المسافر المحظوظ كتاباً يحكي فيه للناس قصة هذه المغامرة. قارن هذا بما يحدث الآن، فقد نشرت جريدة الأهرام القاهرية في نوفمبر الماضي مقالاً جاء فيه أن عدد المسافرين بالطائرات فقط خلال عام ١٩٩٨ بلغ مليار ومائتي مليون

نسمة، أي خُمس سكان العالم تقريباً طاروا في الهواء مسافرين من مكان لآخر! كما ذكر التقرير أنه على مدار الأربع والعشرين ساعة لليوم الواحد تحلق في أجواء الدنيا ما لا يقل عن عشرة آلاف طائرة.

وإذا افترضنا - بناء على هذا التقرير - أن عدد المسافرين بالسكك الحديدية يعادل فقط المسافرين بالطائرات، وأن عدد المسافرين بالسيارات يعادلهما كليهما، لوصلنا إلى نتيجة أن كل البشر تقريباً في حالة سفر، ولأمكننا أن نضيف إلى تعاريف الإنسان تعريفاً جديداً، فنقول إن الإنسان في عصرنا الحاضر هو عبارة عن كائن مسافر.

وعندما حدثت كارثة سقوط طائرة شركة مصر للطيران في أواخر أكتوبر ١٩٩٩، قيل إن الممر الجوي الذي سقطت منه الطائرة يعاني من ازدحام المرور الجوي بشدة، إذ تعبره يومياً من ٦٠٠-٨٠٠ طائرة. تخيل هذا الرقم الرهيب لتزداد دهشتك إذا علمت أن أول طائرة تجارية عبرت هذا المحيط كان في ١٧ يونيو ١٩٣٩، أي من ٦٢ سنة فقط، وظل ركوب الطائرة لسنوات عديدة بعد ذلك قاصراً على القادرين من علية القوم، بل وعلى المغامرين منهم فقط. بل ربما تندهش عزيزي القارئ إذا علمت أنه طبقاً لإحدى الدراسات التي أجريت في نهاية القرن العشرين عن مدى حركة وترحال وسفر الإنسان، وُجد أن معظم الناس يقضون حياتهم على الأرض دون أن ينتقلوا لأبعد من عشرين ميلاً عن مقر سكنهم.

وذكرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر في ١٩٩٩/١١/٥ نقلاً عن صحيفة "فرانس سوار" الفرنسية، إن العالم سيشهد حادث طائرة أسبوعياً بحلول عام ٢٠٠٤، وذلك بسبب كثافة شبكات المواصلات الجوية، ليس فقط بين الدول وبعضها بل بين المناطق والأقاليم داخل الدولة الواحدة.

وهذه الزيادة المرعبة في عدد المسافرين تدفع شركات صناعة

الطائرات، ولا سيما أكبر شركتين وهما إيرباص الأوروبية وبوينج الأمريكية، إلى سباق محموم ليس فقط لزيادة إنتاجهم لكن أيضاً لتطوير سعة طائراتهم، فها هي بوينج تعتزم تطوير أكبر طائراتها ٧٤٧ والتي تسع ٤٠٠ مسافر لتجعلها تحمل ٧٠٠ مسافر كمرحلة أولى، بل وتعتزم تطوير الطابق الثاني من هذه الطائرة لتجعلها، في غضون سنوات قليلة، تطير حاملة ألف راكب بالتمام والكمال بكل أمتعتهم!!

وفي إعلان لشركة الطيران الأمريكية *United Airlines* ، ذكرت الشركة أن كم الطعام الذي تقدمه الشركة سنوياً – وهو بالتالي يدل على عدد المسافرين عن طريقها – عبارة عن: ٧٨مليون وجبة، ٣٦مليون علبة مياه غازية، ١,٨مليون فنجان من القهوة، ٦٥٠ألف قطعة صدور فراخ، ٧٢٠ألف قطعة لحم مشوي أو محمر، ٧٠مليون من الوجبات الخفيفة المتنوعة.

كما أن شركة دايملر كرايسلر أعلنت أنها تصرف ٢ مليون دولار يومياً على تذاكر طيران موظفيها للتنقل بين البلدان المختلفة.

كل هذا إنما يؤكد بشدة قول الكتاب عن وقت النهاية أن كثيرون يطوفون الأرض.

### ٣ـ تطور سرعة السفر

فالكلمة العبرية التي ترجمها داربي كما ذكرنا run to and fro تعطينا انطباعاً أن هذا الجولان والطوفان في الأرض سيكون بسرعة شديدة في نهاية الأيام.

ومن منا يخفى عليه التطور المذهل في سرعة الموصلات؟! ففي نهاية القرن الماضي لم يكن البشر يعرفون سوى المحركات البخارية التي تعمل

بالبخار، إلا أن معظم الأسفار كانت ما تزال تعتمد على الدواب. وفي بداية هذا القرن عرف البشر محرك الديزل والذي اخترعه الألماني رودلف ديزل، والذي كان طالباً بالمعهد الفني بمدينة ميونخ، إلا أنه لم يُستخدم لتسيير المركبات إلا بعد ذلك بعشرات السنين.

وفي نهاية الأربعينات من هذا القرن عُرف القطار التوربيني الذي يُدار بالكهرباء وتصل سرعته إلى ١٦٠كم/ساعة. وفي نهاية الثمانينات وبالتحديد سنة ١٩٨٨، تم اختراع القطار الطائر (ميجليف) حيث يطير على ارتفاع ٧ أمتار فوق سطح الأرض وبدون قضبان ولا ماكينة جر، ويسير بسرعة ٩٩٨كم/ساعة وبقوة مغناطيسية هائلة.

أما التطور في سرعة الطائرات فهو أيضاً تطور مذهل، ففي بداية القرن وبالتحديد سنة ١٩٠٤ كان اختراع الأخوين رايت اختراعاً عجيباً مذهلاً بكل المقاييس، إذ تمكنا من صنع طائرة تطير بمحرك، وكانت طائرتهم من القماش والخشب، ولقد طارا بها لثوانٍ معدودة وفقط لمسافة ٣٠ متراً تقريباً. وكان ابتكار أول طائرة من هيكل معدني في سنة ١٩٢٠. وبسبب الحروب التي بدأت تجتاح العالم آنذاك، تسابقت الدول في تطوير المحركات لزيادة سرعتها؛ فكان المحرك النفاث في بداية الأربعينات، وفي بداية الخمسينات ظهرت الطائرات الأسرع من الصوت (سوبر سونيك)، وبدأ التنافس بين أوروبا وأمريكا، فأنتجت أوروبا الكونكورد التي تصل سرعتها ٢٤٠٠كم/ساعة ولكن بسعة ركاب محدودة، فما لبثت بوينج أن تفوقت عليها وأنتجت طائرتها المعروفة ٧٠٧ والتي تصل سرعتها ٣٠٠٠كم/ساعة وبسعة تصل إلى ٣٠٠ راكب.

ناهيك عن تطور مركبات الفضاء، فقد كان شيئاً مذهلاً أن يطير جاجارين الروسي حول الأرض على ارتفاع ٣٠٠كم وبسرعة تصل إلى

٢٨٨٠كم/ساعة.

أما عن المستقبل القريب، فطائرة السنوات القادمة ستفوق كل التوقعات. فقد أعلنت بوينج أنها بصدد إنتاج طائرة طراز ٧٤٧ تقطع المسافة بين نيويورك وطوكيو في ٩٠ دقيقة، أي بسرعة تصل لحوالي ١٠٠٠٠كم/ساعة. بل إن ثمة مشروع جاد تشرف عليه وكالة الفضاء الأمريكية NASA، بالاتفاق مع وزارة الدفاع الأمريكية وشركة برات وتني الأمريكية، لإنتاج طائرة صاروخية تسمى: "الطائرة المكوكية الفضائية"، وستكون في حجم الطائرة البوينج، طولها حوالي ٦٠ متراً وعرضها ١٥ متراً ووزنها ١٢٥ طناً، وتطير بمحركات تساعدها قوة دفع صاروخية لتقطع المسافة بين نيويورك وطوكيو في دقائق معدودة.

كل هذا يجعلنا نقف في خشوع أمام كلمة الله الحية، التي من ألفين وخمسمائة عام أخبرتنا أنه في نهاية الأيام سيكثر تجوال البشر في الأرض، وأنهم سيسافرون فيها بسرعة. لكن بعد أن أكدنا على أن البشر يطوفون، وأكدنا على كثرة الذين يطوفون، وأكدنا على أنهم يطوفون بسرعة، بقي فقط أن نلفت النظر لشيء أخير ألا وهو:

## ٤. جنون السياحة في القرن القادم

لا أعتقد أن هناك من يخفى عليه هذا الأمر، فقد صارت السياحة مصدر دخل رئيسي لمعظم بلدان العالم، وإني أعتقد أن هذا الولع المجنون بالسياحة والسفر هو، طبقا لهذه النبوة التي نحن بصددها، علامة من علامات وقت النهاية، وسأسوق لك بعض الإحصائيات عن جنون السياحة تؤكد لك هذا.

من المعروف مثلاً أن دولة كأسبانيا تستقبل سياحاً كل عام عددهم يساوي تعداد سكان الدولة نفسها، ومدينة لندن فقط استقبلت خلال عام ٢٠٠٠،

ثلاثون مليون سائح، تخيل هذا الجنون مدينة تستقبل في عـام واحـد عـدة أضعاف تعداد سكانها. بل إن مدينة "لاس فيجاس" التي تعداد سكانها نصف مليون نسمة، زارها عام ١٩٩٩ أكثر من ٣٤ مليون سـائح وحققت دخـل قدره ٢٨,٦ مليار دولار من السياحة في ذلك العام.

ولا يخفى علينا أن مصر الآن تعتمد اعتماداً كبيراً على السـياحة، فلقـد صارت السياحة، كما يقولون، صناعة المستقبل. ولقـد أصبحت الرغبـة الأساسية عند الكثيرين هي السفر ومشاهدة بقـاع الأرض الأخـرى، مـهما كانت التكاليف، ومهما كانت المخاطر! بل لك أن تتخيل أن إحدى الشـركات الفرنسية المشهورة بإدارة الفنادق على مستوى العالم، وعلى الرغم من أنـها ليست من العمالقة في هذا المجال، تبني فندقاً في إحدى بقاع العالم كـل ٤٠ ساعة (!!) على مدار السنة كلها، لاستيعاب حركة السياحة العالمية.

ما أعظم كلمتـك يـا رب، هـي إلـى الأبـد مثبَّتـة فـي السـماوات (مزمور ١١٩: ٨٩)، فهما كلمتان قلتهما من أكثر من ألفين وخمسمائة عام، مـر حوالي ألفين وأربعمائة عام دون أن يتحققا، وربما ظن النـاس أنـهما لـن يتحققا، أو ربما لم يلفتا نظر الإنسان بعد أن تعود على كثرة الكلام، إلا أنـه في بضعة عشرات من السنين تحقق ما لم يكن في الحسبان، وتـبرهن مـن جديد لقلوبنا التي تخشع أمام كلامك أن كل كلمة منك نقية، بل كـل كلامـك كفضة مصفاة في بوطة في الأرض ممحوصة سبع مرات (مزمـور ١٢: ٦). فهبنا يا إلهنا الكريم أن نخشع أمامها أكثر، واملأنا بنية طاعتها، لأنـه هكـذا نُصلح طرقنا وهكذا نفلح.

وإنني أدعو قارئي العزيز أن يجول ببصره حوله عندما يكـون فـي أحـد المطارات، أو إحدى محطات السكك الحديدية في أي بلد من بلدان العـالم، أو

إن كان مسافراً بسيارة على أحد الطرق السريعة، وليلاحظ الكم المهول للبشر المسافرين، ليتأكد بنفسه فعلاً من صدق كلمة الله. لكني أدعوه من قلبي أن يسأل نفسه هذا السؤال الهام: إلى أين أنا مسافر؟ ولا أتصور أبداً أن مسافراً واحداً عاقلاً سيعجز عن إجابة هذا السؤال. لكنني لا أقصد تلك السفرة القصيرة التي تقوم بها الآن، بل أقصد سفرة أطول وأخطر، أقصد السفرة الأبدية، والتي حتما سيسافرها كل إنسان. يقول الكتاب «لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي» (جامعة١٢:٥). إني أرجوك عزيزي القارئ أن تستعد للقاء إلهك (عاموس٤:١٢). واعلم أن ازدحام المسافرين من حولك لهو علامة من علامات وقت النهاية، وبالتالي هو دليل على أن اللقاء بإلهك أضحى قريباً جداً، بل وربما يكون لقاءك به أسرع مما تتصور، أي قبل أن يأتي المسيح. فهل أنت مستعد لهذا اللقاء؟ أرجوك أن تعرف أن التواضع الذي يقودك للاعتراف الصادق بأنك خاطئ سيجعلك أهلاً لأن تُغسل من كل خطاياك بدم المسيح (ايوحنا١:٧،٩)، وهكذا فقط سيتوفر لك لقاء مريح مع إلهك، الذي حتما ستلاقيه. أما الكبرياء الذي يجعلك تبرر نفسك، أو اتكالك على تدينك الشكلي، سيجعلانك لا تشعر بخطاياك، وبالتالي سيجعلان لقائك بإلهك مرعباً، فلن تلقى منه هناك عندئذ سوى الدينونة العادلة على كل خطية أخطأت بها. ولا تنسَ عزيزي القارئ أن وقت النهاية الذي بانت علاماته يعني أيضاً أن زمن أناة الله، والذي يقود فيه الناس للتوبة من خلال اللطف والتمهل عليهم، كاد ينتهي؛ وعليه فإني أرى أن أخطر، بل وأغبى، قرار يمكن أن يتخذه إنسان هو إهمال أمر خلاص نفسه، أو حتى مجرد تأجيله (عبرانيين٢:٣)، فالوقت الوحيد الصالح للتوبة هو الآن.

# الباب السادس

# المعرفة

## العلم والمعرفة،

## ثورتا القرن العشرين

# الفصل العاشر

# اختراعات كثيرة

«انظر هذا وجدت فقط: أن الله صنع الإنسان مستقيماً، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة» (جامعة٧: ٢٩).

لقد توقفنا في الفصل السابق عند النصف الأول من هذه العبارة العظيمة «كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد» (دانيال١٢: ٤)، وفي هذا الفصل نتوقف عند بقية العبارة «والمعرفة تزداد». وفيه نود أن نبرهن على تميز القرن العشرين بانفجار آخر حدث، ليس في مسألة السفر فقط، لكن في العلم والمعرفة. ولقد كان من نصيبنا أن نشهد نحن نهاية هذا القرن، وأن نسمع في السنوات القليلة النهائية منه مثل هذه التعبيرات: "الانفجار المعلوماتي"، "الانفجار المعرفي"، "ثورة الإنفوميديا"، "اقتصاد المعرفة". وهي تعبيرات يصفون بها ما يحدث الآن من انفجار كبير في شتى بقاع الأرض، وفي شتى مجالات المعرفة، وصيرورتها متوافرة لشتى مراحل العمر. وغرضنا مما سنعرضه هو أن يتيقن قارئنا العزيز من روعة كلمة الله التي أشارت إلى هذا الأمر – منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة – في عبارة قصيرة، بسيطة وجميلة: «المعرفة تزداد». كما نرغب أن يتأكد لدى قارئنا قرب مجيء

الرب وإتمام قوله الكريم: «ثم يأتي المنتهى» (متى٢٤: ١٤).

## المعرفة من فجر التاريخ

من فجر التاريخ وحتى نهاية القرن التاسع عشر، لم يكن هنـــاك انتشـــار للعلم والمعرفة في كل بقاع الأرض، بل كانت المعرفة تبدأ في بقعة ما لتنمــو فيها مكوّنة حضارة، ثم تظل هذه الحضارة حِكراً علـــى تلــك البقعـــة التـــي تحتضنها، وتستمر فيها ردحاً من الزمن تتطور فيه ببطء شديد للغايـــة، ثــم تندثر لتقوم محلها حضارة في مكان آخر؛ وهكذا. فلقد نشأت فـــي البدايــة حضارة ما بين النهرين، ثم الحضـــارة المصريـــة القديمـــة، ثـــم الفينيقيـــة، فالإغريقية، فالعربية، وآخرها كانت عصور النهضة في أوروبا الغربية.

ولم تتميز هذه الحضارات المختلفة بمحدودية مكانها واقتصارهـــا علـــى بقعة واحدة فقط، بل أيضاً في تلك البقعة كانت المعرفة قاصرة على فئة قليلــة من الناس، وليست ملكاً عاماً لكل الشعب، وكانت هذه الفئـــة تلقـــى معاملــة خاصة، فالشعب ينظر إليهم كأنهم كهنة يملكون الأسرار أو يجعلونهم كهنــــة بالفعل، ولقلة عدد هؤلاء ما زالوا معروفين بالاسم على الرغم مـــن مـــرور مئات بل وربما آلاف السنين على رحيلهم.

## تميز القرن العشرين

وحتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت معظم بقاع الأرض بعيدة عن النشــاط العلمي والمعرفي، ولم يكن للعلم دوراً إلا في أوروبـــا، وتابعيـــها فـــي العـــالم الجديد، والتي بدأت فيها عصور النهضة من بضعة قرون مضت. وحتى فـــي هذه كان العلم والمعرفة يسيران بخطى وئيدة. لكن ما أن ولجت البشرية بوابــة

القرن العشرين حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، فتوالت الاكتشافات، وزادت الاختراعات، وكثرت الأبحاث في شتى فروع العلم، وانتشرت الجامعات بالآلاف، والمدارس بالملايين، في شتى البقاع والأصقاع؛ وأصبح العلم هو عصب الحياة، ولا غنى عنه لمن يرغب في أكل العيش. حتى بدا وكأن البشرية استيقظت فجأة من نوم عميق، استمر بطول تاريخها، لتعمل بهمة ونشاط، لتنتج، في قرن واحد، ما لا يمكنك أن تقارنه في ضخامته بما سبق إنجازه في تسعة وخمسين قرناً مضت؛ بل إذا أراد أحد أن يؤرخ للعلم والمعرفة، فلن يضره كثيراً أن يبدأ تأريخه من بداية القرن العشرين، إذ لن يفوته الكثير إذا أهمل ما سبقه من إنجاز في كل القرون الماضية.

ولقد عبَّر عن هذه الثورة العلمية أحد المؤرخين للعلوم والثقافة فقال*:

**"في العالم القديم كان عصر النار، ثم أعقبه عصر النحاس، ثم عصر البرونز، فعصر الحديد؛ وبين كل عصر وعصر كانت تمضي عدة قرون حتى ننتقل إلى اكتشاف آخر جديد. أما في القرن العشرين، فالعلم تتلاحق صوره العلمية، لدرجة أنك تجد عقدا واحدا منه يضم عدة عصور وفي مجالات شتى".**

## مقارنة لازمة

ربما تتضح صورة ما حدث في القرن العشرين لو أننا عقدنا مقارنة بين التطور العلمي الذي حدث فيه، ولا أقول والتطور الذي حدث في التسعة وخمسين قرنا السابقة له، بل فقط ما حدث في التسعة قرون الأخيرة السابقة له مباشرة، لتكون كخلفية تبرز ملامح هذه الصورة أكثر. وستتضح لقارئي العزيز -إذا قارن بين ما حدث فيهم من تطور علمي وما حدث في القرن

---

*د. أحمد عوف؛ مجلة العلم، أكاديمية البحث العلمي، ديسمبر ١٩٩٩.

العشرين- الهوة الشاسعة بينهما. وعندها لا بد أن نتساءل :كيف حدث كل هذا الانفجار العلمي والمعرفي؟ ولماذا هذا التسارع المخيف في الاختراعات والاكتشافات؟ أين كان البشر لمدة تسعة وخمسين قرناً؟ هل كانوا نائمين ثم استيقظوا فجأة من سباتهم العميق؟

انظر على سبيل المثال:

في القرن الحادي عشر لم يتطور العلم ولم تزدد المعرفة عن القرن السابق له سوى أن البشر عرفوا البوصلة.

وفي القرن الثاني عشر استطاعت البشرية أن تطور نفسها، فاستخدمت الحمام الزاجل لنقل الرسائل.

وفي القرن الثالث عشر، وفي خلال قرن بأكمله، لم تتمكن البشرية من إضافة جديد سوى اكتشاف الفحم كوقود.

وفي القرن الرابع عشر، كانت بداية اختراع الساعة، ولك أن تتخيل أن هذا الاختراع استهلك القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر لكي يصل المخترعون في القرن الثامن عشر إلى الساعات التي تدار بالزنبرك، ثم البندول؛ وكانت قمة ما وصل إليه المخترعون في منتصف ذلك القرن هي ساعة هاريسون الإنجليزي، والتي كانت تزن حوالي ٣٤ كجم بالتمام والكمال! ولك أن تتخيل أن تطويراً بسيطاً في اختراع واحد استهلك خمسة قرون تقريباً، ولك أن تقارن هذا بما يحدث اليوم؛ حيث يكون الاختراع ما يزال قيد التنفيذ بالمصنع، وقبل أن يصدر منه للعرض بالأسواق كتطوير جديد، يكون المخترعون قد أنهوا "الموديل" الأحدث بتغييرات جديدة وإمكانيات أكبر تجعله يقف ساخراً من الجهاز الذي سبقه!!

وفي القرن السادس عشر، اختُرعت الطباعة في صورتها البدائية.

وفي القرن السادس عشر، ظهر التليسكوب، وأثبت نيوتن قانون الجاذبية.

وفي القرن الثامن عشر، سار في البحار أول قارب بخـــاري، وأنشــئ أول كوبري من حديد، وظهر الاختراع الطبي المذهل "الترمومتر الزئبقي"!

أما القرن التاسع عشر، والذي هو – بالطبع – الأم التـــي ولـــدت القـــرن العشرين، وبالتالي فمن المفترض وجود تشابه فـــي الملامـــح بينـــهما، حتى وإن سلمنا بتطور البنت عن أمها والابـــن عـــن أبيـــه، إلا أننـــا سنكتشف أنه، وعلى الرغم من كونه أغنى من سابقيه، إلا أنه أيضـــاً لا مجال لمقارنته إطلاقاً بالقرن العشرين!

ففي ذلك القرن أنشئت السكك الحديدية، وتم اخـــتراع وابـــور الجـــاز، والقلم الحبر، وقبل نهايته بقليـــــل كـــان الاخـــتراع العجيـــب: "القلـــم الرصاص"! أما في المجال الطبي، فقد اخترعت السرنجات الطبيـــــة! وفي مجال الهندسة، استخدم الأسمنت لأول مرة في البناء!

هذه هي تقريباً الثورات العلمية في القرن التاسع عشر، أي مـــا تمخضـــت عنه عقول البشر بعد تطور دام تسعة وخمسين قرناً من الزمان.

فماذا عساك أن تقول عندما تقارن هذا بما حدث في القـــــرن العشـــرين، سوى أن تقول من قلبك: "نعم يا رب، المعرفة تزداد".

### ملاحظة هامة

لقد بدأ القرن العشرون وبدأت معه بشائر الثورات العلمية من أول سنة فيـــه، لتبشر فعلاً بمولد قرن متميز. إلا أنه أيضاً منذ مولده حمل معه دلائل مرعبـــــة على أنه سيكون متميزاً بحروبه الطاحنة؛ فهذا القرن وحده شهد أكثر من مئتـــــي

حرب، وحربين عالميتين؛ حتى أن عدد قتلى حروب هذا القرن يعادل قتلى الحروب من بدء الخليقة حتى القرن التاسع عشر، كما ذكر "نيكسون" رئيس الولايات المتحدة الأسبق*. لكن العجيب أنه على الرغم من هذه الحروب القادرة على سحق كل إمكانية للاختراع والابتكار والتطوير هي نفسها كانت دافعاً لمزيد من التقدم العلمي. وأصبح العالم يدور في حلقة مفرغة كالآتي:

مزيد من الحروب ← مزيد من التقدم العلمي لاختراع أسلحة فتاكة جديدة ← مزيد من الحروب ← مزيد من التقدم العلمي ... وهكذا.

وعليه فقد أصبحنا نرى في بداية هذا القرن أن ما كان ينتجه العلم في قرون في الماضي أصبح ينتجه في عقد واحد، أما في نهاية القرن؛ فما كان ينتجه في قرون في الماضي وفي عقود في بداية هذا القرن صار ينتج في أيام الآن!!

## القرن الأخير والحضارة الشطرنجية

يقول الدكتور أحمد عوف، وهو أحد المؤرخين للعلوم: "**تعتبر حضارة القرن العشرين حضارة شطرنجية تضاعفية، فهي أشبه بنظرية المتواليات الهندسية، والتي تذكرنا بالحكيم الذي اخترع الشطرنج وأراد ملك فارس مكافأته، فطلب الحكيم من الملك أن يضع له حبة قمح على الرقعة الأولى، ثم يضاعفها في كل رقعة من الأربع والستين رقعة على الطاولة. فاستسهل الملك طلب الحكيم وأمر، وزيره بتنفيذ ذلك للحكيم فورا، وبعدها أتاه الوزير قائلاً إن كل خزائن الملك لا تكفي، إذ أن التضعيف نتج عنه أرقام فلكية. وهكذا تماماً العلم والمعرفة في القرن العشرين، فلقد تعددت مجالاته واتسعت إنجازاته، حيث دخلنا عصرا فيه العلم بلا نهاية وبلا حدود، فأي مجال يلجه العلماء تحدث فيه ثورات علمية، ولهذا فهو بحق قرن الثورات العلمية**".

* في كتاب حرب بلا نصر

لقد ذكرت صحيفة الخليج في ١٩٩٩/١/١٦ أن عدد الاختراعات المسجّلة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٨ بلغ ١٥١ ألف اختراع، **وعلى مستوى العالم هناك ٧٢٠ اختراع كل يوم، بمعنى أن العالم يستقبل اختراع جديد كل دقيقتين!!!**

وهناك سجلات منشورة في كثير من المجالات العلمية وغير العلمية، تؤرّخ لأهم الأحداث العلمية التي حدثت في كل سنة من سنوات هذا القرن، وبالطبع لو أردنا هنا أن نذكر حتى أهمها فقط لاستهلكنا هذا الكتاب بأكمله، ولو أردنا أن نختار مجالاً واحد من مجالات العلم والمعرفة، وليكن مثلاً الذرة، لوجدنا أن كل سنة من سنوات هذا القرن كانت تضيف شيئاً جديداً في هذا المجال.

لذلك سألخّص ما حدث من ثورات علمية في هذا القرن في خمس نقاط فقط، أرى أنها تشمل أهم خمسة مجالات:

## ١- الذرة

في سنة ١٩٠٠ توصل "ماكس بلانك" لنظرية الطبيعة الكمومية للطاقة، وتناول فيها التأثير التبادلي بين الإشعاع والمادة، وفي نفس السنة اكتشف "رزرفورد" نظرية نصف عمر المواد المشعة، واكتشف "فيلارد" أشعة جاما، ثم اكتشف "بيكريل" أن هذه الأشعة إلكترونات. وفي ١٩٠١ اكتُشفت شحنة الإلكترون، وبهذا بدأت ثورات الكشف عن ما هو دون الذرة، فكانت القاعدة التي انطلقت منها صناعة الإلكترونيات، ثم التفجيرات النووية، ثم تدفق الليزر بأعاجيبه المذهلة.

## ٢- الفضاء

من قرون مضت والإنسان ينظر إلى الفلك والنجوم حائراً. وابتداءً من

القرن السابع عشر، حيث كان التلسكوب قد اختُرع، بدأ البشر يدققون في مجموعتنا الشمسية. وفي سنة ١٩٠٥ اقترح "لونل" وجود كوكب تاسع في مجموعتنا هو كوكب "بلوتو". وفي سنة ١٩١٨ قدّم "شابلي" أول نموذج لتكوين مجموعتنا الشمسية. وفي ١٩٢٤ ابتدأ "هابل" بقياس مسافة المجرات خارج مجرتنا، حتى صمم "ريبر" أول تليسكوب عملاق سنة ١٩٣٧ ليبدأ عصر الحلم بغزو الفضاء؛ فأرسل السوفييت أول قمر صناعي "سبوتنيك" سنة ١٩٥٧ يدور حول الأرض. وتوالى التنافس بين السوفيت والأمريكان الذي أدى إلى هبوط أول إنسان على القمر سنة ١٩٦٩ وهو "نيل أرمسترونج" راكباً المركبة الفضائية "أبوللو ١١". واليوم قد صار المشي على القمر شيئاً عادياً، واتجه الإنسان إلى سبر أغوار المريخ وغيره من كواكب مجموعتنا الشمسية.

### ٣- الاتصالات

مين تطور الاكتشافات في ما هو دون الذرة، ومع تطور اقتحام الفضاء، تطورت وسائل الاتصالات بشكل يفوق الخيال: ففي سنة ١٩٠١ أي في بداية القرن العشرين تم إرسال إشارات "مورس" عبر التلغراف لتوصل أوربا بأمريكا بعد مد كابل عبر الأطلنطي. وفي نهاية نفس القرن وصل العالم إلى كم رهيب من وسائل الاتصالات، بداية من التليفون ثم الفاكس ثم الأقمار الصناعية ثم التليفون المحمول، وأخيراً الإنترنت والتي جعلت الأرض قرية صغيرة بل حجرة واحدة.

### ٤- الوراثة

لقد شهدت بواكير هذا القرن اكتشاف المادة الوراثية، عندما عُرف سنة ١٩٠٢ أن الكروموسومات بالخلايا أزواج ويُحتمل أنها تحمل الصفات

الوراثية. ومن وقتها لم تكُفّ الأبحاث للكشف عن أسرار مادة الوراثة في نواة الخلية، مما مهد الطريق الواسع والخطير للهندسة الوراثية والتي يحاولون بها استنباط أنواع حية جديدة، ثم لاستنساخ الكائنات الحية – دون تزاوج – عام ١٩٩٧، حيث تم استنساخ النعجة دوللي في معهد روزالين بأدنبرة، وكانت المفاجأة المذهلة إعلان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في صيف ٢٠٠٠ أن الولايات المتحدة نجحت بالتعاون مع إنجلترا في رسم خريطة الجينات البشرية (الجينوم).

## ٥- الذكاء الاصطناعي

في سنة ١٩٤٣، كانت بداية توظيف الذكاء الطبيعي لإنتاج جهاز كمبيوتر عالي القدرة ينهض بمهام الذكاء الاصطناعي؛ فتم إنتاج أول جهاز في بريطانيا ليقوم بفك الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وأطلق عليه اسم "كولوسس". وفي نفس الفترة بدأ الرياضى "هوارد إيكن" من "هارفارد" العمل على كمبيوتر أُطلق عليه إسم "مارك الأول *MK1*" وذلك بمشاركة شركة *IBM*، وكان ذلك الكمبيوتر مثيراً للإعجاب بالفعل؛ فكان طوله حوالي ١٧م. وارتفاعه ٢,٥م، واحتوى على ٧٥٠ جزءاً تم توصيلها بما يقرب من ٨٠٠ كم من الأسلاك، وقد احتوى على ٣٣٠٠ مفتاحاً كهروميكانيكياً! وكان يمكنه القيام بعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة؛ حتى أن براعته وصلت لأن يُجري ٣ عمليات جمع في الثانية!!

وفي السنة التالية تطورت صناعة الكمبيوتر، فتم إنتاج الكمبيوتر "إينياك" والذي كان يشارك مارك الأول سمات كثيرة، فكان عرض الجهاز حوالي ٢٤م. وارتفاعه ٢,٥م، إلا أنه كان رشيقاً، فوزنه لم يتعدّ ٣٠ طناً! وهكذا كان حجم "إينياك" في حجم جراريين بمقطورة يقفان ظهراً لظهر، وكان

على من يريد تشغيله أن يقوم بتوصيل ٦ آلاف مفتاح يدوي!! وكان الذي يعيب "إينياك" أنه عند تشغيله يصيب المنطقة بالذعر؛ إذ كان ينقطع عنها التيار الكهربي لشدة ما يسحبه "إينياك" من الكهربا. وكانت الأعطال تحدث فيه بسبب دخول الحشرات *(bugs)* فيه، وربما الفئران أيضاً!

وللقارئ أن يُقارن بين هذا الجهاز وبين كمبيوتر اليوم والذي يمكن حمله في حقيبة يد صغيرة، ويصل وزنه لأقل من كيلوجرامين، ويمكنه عمل أكثر من مئة مليون من العمليات الحسابية في الثانية، ويعمل بضغطة إصبع على زر صغير فيه، بل ومن على بعد أيضاً. كما يمكنه تخزين معلومات ما يزيد عن ٣٠٠ كتاب على قرص لا يتعدى وزنه ٤٠ جراماً، بل ويمكنه نقل كتاب كامل في دقيقة واحدة بين أي مكانين في العالم مهما بعدت المسافة بينهما! ولقد ذكرت إحدى المجلات العلمية المحترمة أنه في كل أسبوع يستقبل العالم إضافة نوعية جديدة في مجال البرامج أو الأجهزة، هذه الإضافة ضاعفت من كفاءة الكمبيوتر أكثر من مليون ضعف ما كان عليه أول حاسب آلي: "مارك الأول". والآن يتعامل الناس مع الجيل الخامس، وهو قادر على إجراء أكثر من مليارى عملية حسابية/ث، وكان يستغرق هذا ألف عام في السابق لإجرائها.

فإذا أخذنا في الاعتبار أن كل هذا التطور حدث في بضع عشرات من السنين، يستطيع القارئ أن يدرك كيف أن المعرفة تزداد.

وهنا نعود ونسأل نفس الأسئلة السابقة ونحاول أن نجيب عنها والتي تتلخص في: لماذا كل هذا في القرن العشرين بالذات؟ وأين كان البشر في القرون الماضية؟ كيف انتقلنا من اختراع كل عدة قرون في الماضي لاختراع كل دقيقتين في وقتنا الحاضر؟

ولا أعتقد أننا يمكن أن نجد إجابة شافية عند أهل العالم على هذه التساؤلات، بل ولا حتى عند أهل العلم، لكني أعتقد أننا يمكن أن نجدها في نور كلمة الله في ثلاث نقاط، مرتبطة كلها بمجيء الرب.

أولاً: ***قبل أن يأتي المسيح ليقيم مملكته على كل الأرض، كان لا بد أن يظهر ويثبت بالبرهان، الفشل الذريع لمملكة الإنسان ومن وراءه الشيطان.***

من ستة آلاف سنة سلم الله الملك على الأرض للإنسان، وسلّطه على كل أعمال يديه، وجعل كل المخلوقات تدين بالخضوع له. لكن كان كل هذا مشروطا بأن يكون الإنسان نفسه، وهو ملك عليها، في خضوع وطاعة لخالقه وخالقها، وأعتقد أن هذا الشرط ليس فقط شرطاً عادلاً لكنه أيضاً شرطاً لازماً، بل إني أراه شرفاً عظيماً للإنسان أن يكون تحت رئاسة الله المباشرة، فكيف يمكن للإنسان في محدوديته أن يستغني عن القدير الحكيم؟ ثم ألا تُعتبر خيانة وسرقة أن يستقل الإنسان بملك الأرض، وهو ليس خالقها ولا حتى شاريها؟ لقد وهبه الخالق الحياة، ثم وهبه الأرض، ثم وهبه السلطان عليها، فكيف سوّلت له نفسه أن يخون ويغدر ويتمرد ويسرق؟ بكل أسف هذا ما حدث، لقد صدَّق الإنسان الشيطان، واستقل بملك الأرض عن الله. والعجيب أن الله لم يعترض على هذا، ولم يفن الإنسان، بل ولا حتى أخضعه قهراً له، مع أنه قادر على أن يفعل هذا، لكن ليس الله هو الذي يقبل الخضوع القسري، ولا يليق بمجده أبداً أن يقبل سوى خضوع الحب والاحترام، ولماذا يلجأ الله لفرض طاعته فرضاً وهو في ذاته - تبارك اسمه - جدير بها؟

كل ما فعله الله، أمام هذه الخيانة العظمى، أنه أعلن لآدم وحواء نتيجة فعلتهما الشنعاء، والتي تتلخص في أن الخليقة عندما تُحرم من سيادة المبارك الوحيد لا يبقى لها سوى اللعنة، وأن الإنسان عندما يُحرم من سيادة المحب

العظيم لا يبقى له سوى الألم والشقاء. بل والأعجب من هذا جداً، أنه حتى لم يسحب منه ملك الأرض، لكنه تركها له ولآلاف السنين، ليتبرهن له بوضوح وجلاء أنه هيهات له أن يهنأ بها وهو مستقل عن خالقه، على أن يسحبها منه بعد أن يثبت تماماً فشله الذريع في إدارتها، وهذا بالطبع حقه إذ أنه هو وحده مالكها. على أن الله، وعلى الرغم من هذا، لن يغير فكره من جهة إعطاء ملك الأرض للإنسان، فهو وإن كان سيسحب ملكها من الإنسان فهو سيعطيه لابن الإنسان، أي أنه سيأخذه من الإنسان الأول ليعطيه للإنسان الثاني، أي الصنف الثاني من البشر، والذي تبرهنت طاعته وخضوعه لله بشكل رائع ومجيد، يسحبه من آدم الأول ويسلمه لآدم الأخير الرب يسوع المسيح.

ولهذا، على ما أرى، سمح الله في السنوات الأخيرة من ملك الإنسان الأول، أن يصل الإنسان بمخترعاته إلى القمة سواء من حيث نوعيتها أو من حيث كثرتها، لم يمنع عنهم كل ما ينوون أن يعملوه، لقد وصلوا إلى آخر ما عندهم وأخرجوا كل ما في جعبتهم، كل دقيقتين اختراع جديد يا للهول! كلها ليس لها إلا غرض واحد: الرفاهية والسعادة، فهل يا ترى نجحت اختراعاتهم الكثيرة في أن تسعد قلوبهم؟ الواقع يجيب بأن القرن العشرين، قرن الاختراعات الكثيرة هو أكثر القرون بؤساً وتعاسة وحروباً وقتلاً، بل وبشهادة الخبراء هو الأكثر فقراً على مر التاريخ. لقد سمح الله بكل هذا التفوق العلمي والتكنولوجي ليثبت بالبرهان الاحتياج الماس لملك المسيح.

ثانيا: ***قبل أن يأتي المسيح كان لا بد أن يتهيأ العالم للأحداث الأخيرة التي تسبق مجيئه.***

هذه الأحداث التي أنبأ بها الكتاب، تعتمد اعتمادا كليا على اختراعات وتكنولوجيا القرن العشرين، فلكي يحارب الوحش وأتباعه المسيح عند

ظهوره بالمجد (رؤيا١٧:١٤؛ ١٩:١٩) يحتاجون لتلك الأسلحة التي لم تظهر إلا في نهاية القرن العشرين، ولكي يرى كل الشعوب والقبائل والألسنة جثتي الشاهدين (رؤيا١١:٩) كان لا بد من الأقمار الصناعية والتلفزيون، ولكي يتحكم الوحش في كل تجارة العالم كان لابد من الإنترنت (رؤيا ١٣:١٧)، لذلك سمح الله أن يصل الإنسان لكل هذه المخترعات لكي يتهيأ المسرح العالمي تماماً للفصل الأخير من المأساة العالمية.

ثالثاً: *قبل أن يأتي المسيح لا بد أن يأتي الله بجميع المعينين للحياة الأبدية.*

ولكي تصل كلمة الله إلى جميع المعيَّنين للحياة الأبدية، كان لابد من وجود اختراعات كثيرة، فمن يستطيع أن يتجاهل الدور العظيم الذي تلعبه التكنولوجيا الآن في نشر كلمة الله؟ من ينكر فضل التطور المذهل في تقنيات الطباعة؟ ومن ينكر فضل الراديو في إذاعة خبر الإنجيل السار؟ بل ومن ينكر فضل الأقمار الصناعية والأطباق التي تستقبل ما تبثه في توصيل الكلمة لبلاد يستحيل الوصول إليها بغير هذا الطريق؟ بل ومن ينكر الآن فضل الإنترنت في نشر كلمة الله مقروءة ومسموعة ومرئية*؟ نعم يمكننا أن نقتبس قول الكتاب في هذا الصدد عندما يقول «في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مزمور١٩:٤).

أخيراً أقول: لعل قارئي العزيز من خلال هذه الكلمات يكون قد تيقن من صدق كلمة الله التي أنبأت من قديم الزمان عن حال هذه الأيام بهذا القول البسيط الجميل «المعرفة تزداد».

---

* ذكر لي أحد الأصدقاء مؤخراً أن الموقع البسيط الذي أنشأه على الإنترنت، بإمكانيات متواضعة، ليذيع من خلاله بعض العظات الروحية، قد زاره في ديسمبر ٢٠٠٠ عشرون ألف مستمع!

لكن الأهم عندي هو أن يتيقن أن كل مخترعات العلم، وكل وسائل الرفاهية، لن تنجح البتة في أن تسعد قلب الإنسان أو تملأ هذا الفراغ الرهيب في نفسه والناتج عن انفصاله عن خالقه، وهذا العطش الشديد الناتج عن حرمانه من الشركة معه.

قال سليمان الحكيم من قديم الزمان «انظر. هذا وجدت فقط: أن الله صنع الإنسان مستقيماً أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة» (جامعة٧: ٢٩)، والمقصود هو أن الله خلق الإنسان منتصباً لينظر للعلاء ويتواصل مع خالقه فيشبع ويمتلئ من الشركة معه، لكنه للأسف لم يفهم هذا، بل حول نظره عن الله، وبحث عن شبعه وامتلائه في هذه الاختراعات الكثيرة، فهل نجحت الاختراعات رغم كثرتها أن تشبعه؟ هيهات.

# الفصل الحادي عشر

# الإنترنت

«وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه» (رؤيا ١٣: ١٧).

### طرق المعرفة

تحدثنا سابقاً عن الانفجار المعرفي، والتطور المذهل في العلم ولا سيما في المجالات الخمسة الشهيرة: الذرة، الفضاء، الاتصالات، الوراثة والذكاء الاصطناعي، وقد لحق التطور المذهل أيضاً شتى مجالات المعرفة، وتبع هذا تطبيقات مذهلة فكانت الاختراعات الجديدة كل يوم اختراع كل دقيقتين.

وعلى الرغم من كون الأبحاث العلمية تستغرق وقتاً طويلاً، يُقدَّر بالسنوات، إلا أن جامعات العالم ومعاهد أبحاثه تقذف كل يوم بمئات الأبحاث. والتنافس بين الدول شديد للغاية في رصد ميزانيات مالية أكبر للبحوث العلمية وإنشاء المعاهد المتخصصة للبحث، بل وأصبحت الشركات الضخمة أيضاً ترصد جزءاً كبيراً من ميزانياتها للبحث العلمي فقط.

لكن يبقى أن العبارة الرائعة التي تصف حال البشرية في الأيام الأخيرة:

«المعرفة تزداد» لا تشير فقط إلى ازدياد المعرفة بل ازدياد عدد العارفين، وهنا نتوقف لنسأل سؤال بديهي عن كيفية تداول المعرفة.

منذ أن عرف الإنسان الكتابة، من فجر التاريخ وحتى نهاية القرن العشرين، أي من سنوات قلائل مضت، كان الكتاب هو الوسيلة الأساسية للمعرفة عند البشر، مع الفارق الكبير طبعاً في صورة الكتاب من عصر إلى عصر، لتطور مواد صنع الكتاب من الأحجار للجلود للبردي للورق، وكذلك تطور أدوات الكتابة من النقش للأصباغ للأقلام، مع اختراع الطباعة أيضاً وتطور تقنياتها المذهلة.

كل هذه المجالات شهدت تطوراً مذهلاً، ومع تطور وسائل المواصلات صارت تُقام المعارض في شتى بلدان العالم لعرض الكتب بالملايين في شتى مجالات المعرفة.

لكن يبقى رغماً من كل هذا أن الوسيلة واحدة وهي الكتاب.

وفي السنوات الأخيرة من القرن العشرين، والتي عايشناها جميعاً، حدث الانفجار المذهل في طريقة الحصول على المعرفة، وهو التطور الذي لا يدانيه أي تطور آخر في أي مجال، في حجم النقلة التي أحدثها؛ وكان ذلك من خلال الإنترنت.

## ما هي الإنترنت؟

في نهاية سنة ١٩٦٩ وبداية ١٩٧٠، كانت الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي في أوجّها، وكانت أمريكا تخزن كل المعلومات الحربية على أجهزة الكمبيوتر (والتي كانت بالطبع مختلفة جداً عن أجهزة اليوم)

وخوفاً من حدوث هجوم ذري على أمريكا يُتلف الأجهزة فتضيع الأسرار الحربية، نشأت فكرة محاولة إنشاء شبكة توصل بين عدة أجهزة كمبيوتر، موجودة في أماكن مختلفة، تنتقل من خلالها المعلومات الحربية في أمان، وبطريقة تضمن حفظ المعلومات سليمة في حالة تلف جهاز أو أكثر من الأجهزة التي تم تخزين المعلومات فيها. وقد نجحت الفكرة فعلاً في أوائل السبعينات، وأصبح لدى أمريكا ٤ مواقع لأبحاث الدفاع الحربي في أماكن مختلفة، موصَّلة معاً بشبكة واحدة تنتقل المعلومات بينهم في سهولة ويسر وأمان، حتى إذا دمر أحدها لم تضعِ المعلومات؛ وسُميت هذه الشبكة "أربانت".

إلا أن الأمور تطورت سريعاً، عندما استطاع البروفسير الأمريكي "فينت سيرف" أن يضع المعايير التي تسمح بتآلف أجهزة الكمبيوتر معاً، لتجري بينها المعلومات في سهولة ويسر. وكان ذلك في عام ١٩٧٤ وعندئذ تغير اسم الشبكة إلى "الإنترنت".

وفي سنة ١٩٨٣ سمحت الحكومة الأمريكية باستخدام الشبكة خارج النطاق العسكري، للأغراض العلمية ولتسهيل تداول الأبحاث العلمية بين المعاهد المختلفة في شتى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وعندئذٍ تم الاتفاق على لغة واحدة ونوعية واحدة من البروتوكولات للتخاطب والاتصال بين جميع الأجهزة الموصلة بالشبكة، وبهذه الطريقة أصبح من الممكن إجراء حوار بين جهازين أو أكثر، بغض النظر عن مكان الجهازين أو صنفيهما أو نظام تشغيل كل منهما، طالما أن لكل منها عنواناً الكترونياً، وعليه فقد زاد عدد الأجهزة المتصلة بالشبكة حتى صار ٧٠٠ جهاز!! إلا أن هذا العدد قفز في أواخر الثمانينات إلى ٢٠٠,٠٠٠ جهاز!

وفي بداية التسعينات قررت الحكومة الأمريكية جعل الإنترنت متاحة

لجميع الناس، لتوصيل كل الأفراد ببعضهم، وكل البيوت ببعضها، وكل الدول ببعضها ليصبح العالم كله قرية صغيرة.

وفي عام ١٩٩١ تطورت بشدة الـ *w.w.w. (world wide web)* أي: الشبكة العالمية، وهي إحدى المكونات الأساسية للإنترنت، وقد صاحب هذا اختراع شركة ميكروسوفت لنظام التشغيل ويندوز *windows* والذي سهل من استخدام الشبكة.

وفي عام ١٩٩٣ ظهر برنامج *Netscape Navigator* ، والذي يعني: الملاحة داخل الشبكة، أو التصفح داخل الشبكة، ومن العجب أن كلمة "يتصفحونه" التي استخدمها دانيآل عندما قال: «كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد» هي نفسها كلمة "ملاحة" كما تُرجمت في حزقيال.

وصار الآن، فعلاً وحرفياً، يجلس الناس أمام أجهزة الكمبيوتر ليقوموا بالتصفح أو الملاحة من خلال هذا البرنامج، أو غيره، في بحار المعرفة. وتكون النتيجة: «المعرفة تزداد».

## كمية المعرفة المتاحة

منذ أن اخترع برنامج *Netscape Navigator* أي: ملاح الشبكة، وصار في مقدور أي مستخدم أن ينشئ صفحات لنفسه يلقي بها في الشبكة، لتصير في متناول كل مشترك فيها، والذين بلغ عددهم أكثر من ٧٥مليون يتزايدون كل يوم بمعدلات مذهلة. وبحسب أحد الإحصائيات والتي قام بها، في يونيو ١٩٩٩ رجال الـ *OCLC (Online computer library center)*، فوجدوا أن عدد المواقع وصل إلى ٢.٢ مليون موقع، تحتوي على حوالي ٣٠٠ مليون صفحة في شتى مجالات المعرفة، وهذا ما هو متاح للاستخدام المجاني

العام، بالإضافة إلي حوالي ٤٠٠,٠٠٠ من المواقع - والتي تحتوي عشرات الملايين من الصفحات - والتي يمكن اعتبارها خاصة، أي لا تستطيع الإطلاع على محتوياتها بدون دفع رسوم معينة، هذا بالإضافة إلى مليون موقع مؤقت على الشبكة موجودة في حالة انتقالية أو غير كاملة.

وبالتالي لم يعد هناك طبيب أو مهندس أو باحث يذهب ليشتري كتاباً ليطلع على آخر التطورات، لأنه حتى تُجمع مادة الكتاب وتُطبع ثم يُوزع، تصبح معلوماته قديمة، وربما تكون هناك أبحاث أخرى ظهرت تلغي المعلومات التي يحويها. وأصبح كل ما يحتاجه الباحث هو أن يجلس أمام الكمبيوتر ليبحر في الإنترنت؛ حين يدخل عنوان ما يريد لتظهر له على الشاشة أحدث الأبحاث في غضون ثوان قليلة. وتمكن الشبكة الآن مستخدميها من استحضار - ليس المعلومات مطبوعة فقط - بل أيضاً استحضار الكاسيتات مسموعة أو، مرئية في غضون ثوان، من أي مكان في العالم. أي أنك لست تقرأ فقط بل تسمع وترى أيضاً ما تريد، وبمجرد الضغط على أزرار قليلة وفي غضون ثوان معدودة.

ولقد تعددت الاستخدامات، فلم تعد قاصرة على تبادل المعلومات فقط، بل أصبحت وسيلة للبريد والذي يُسمى *E-mail* أو البريد الإلكتروني حتى أنهم صاروا يطلقون على البريد الجوي المستعجل: "بريد السلحفاة"!!

وأصبحت الشبكة تُستخدم في شتى مجالات الحياة: في البيع والشراء والتسوق وحجز الطائرات والقطارات والاستشارات الطبية والمعاملات البنكية، كذلك حضور المحاضرات والتعليم عن بعد، بل حتى الامتحانات صارت تجري من خلالها، والتصويت في العمليات الانتخابية، بل وحتى الزواج أيضاً!!

## مستخدمو الشبكة الآن

لك أن تتخيل السرعة التي تتزايد بها أعداد المشتركين في هذه الشبكة. فإذا أخذنا أوروبا كمثال: كان العدد في نوفمبر ١٩٩٤ حوالي مليون مشترك، وتضاعف خلال سنة ليصبح ٢ مليون في ١٩٩٥، ثم ٤ مليون في يناير ١٩٩٧، وفي نوفمبر من نفس العام صار ٦ مليون. وكان من المتوقع في ذلك الوقت أن يتضاعف هذا العدد ليصبح ١٢ مليون بحلول عام ٢٠٠٣، إلا أن الواقع فاق التوقعات: ففي عام ١٩٩٩ صار العدد ٤٤مليون، والمتوقع الآن أنه في عام ٢٠٠٣ سيصبح العدد ١٧٠ مليون إلا أنه من الواضح أن التوقعات مهما شطحت لا تصل إلى ما يحدث في الحقيقة.

وفي الولايات المتحدة، وهي رائدة في هذا المجال، وصل العدد فيها في نهاية ١٩٩٨ لحوالي ٨٠ مليون مشترك، ومن المقدر الآن أن عدد الذين يستخدمون الشبكة على مستوى العالم قد يصل إلى ٣٢٠مليون. أي أن هناك ٥٢ شخص من كل ١٠٠٠ شخص من سكان العالم يستخدمون الشبكة.

وربما يعطينا فكرة عن حجم استخدام الشبكة إذا عرفنا حجم تبادل الرسائل الإلكترونية خلالها، فحتى نهاية عام ٢٠٠٠ يكون مستخدمو الشبكة قد تبادلوا ١٠ مليارات رسالة *E-mail*، ومن المتوقع أن يبلغ هذا العدد ٣٥ مليار في عام ٢٠٠٥.

في ١٧ إبريل ٢٠٠٠ نشرت مجلة *Time* الأمريكية هذه الإحصائية عن الإنترنت فقالت: **"إن الإنترنت حلت محل الآتي: ٦٤٪ من الخطابات المكتوبة، ٤٦٪ من المكالمات الدولية، ٤٣٪ مشاهدة التلفزيون، ٢٤٪ من قراءة الجرائد، ٢١٪ من قراءة المجلات، ١٩٪ من الكتب، ١٠٪ من مشاهدة الأفلام".**

## الأطفال والإنترنت

الشيء المذهل في هذا الأمر هو تضاعف أعداد الأطفال الذين يستخدمون الشبكة؛ حتى أنه يتوقع أن يصل عدد من هم دون السادسة عشر من مستخدمي الشبكة عام ٢٠٠٥ إلى ٧٧مليون مشترك.

## الأيام الأخيرة والإنترنت

والآن نأتي للسؤال الذي يهمنا نحن كدارسين لكلمة الله، والنبوة بصفة خاصة وهو: ***هل من علاقة بين الأيام الأخيرة والإنترنت؟***

والإجابة على ما أعتقد هي: نعم، وذلك للأسباب الآتية:

١- إتماماً لكلام الرب في نبوة دانيآل أنه في آخر الأيام كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد. فكلمة "يتصفحونه" هي الترجمة العربية للكلمة العبرية "شوط"، وهي كما رأينا في مقال سابق تترجم: يطوفون أو ملاحين. وكما رأينا أنها تشير إلى كثرة الطوفان في الأرض، إلا أنها أيضاً ربما تشير إلى كثرة الملاحة عبر بحار المعرفة من خلال هذه الشبكة المرعبة.

٢- إن الانفجار المعرفي والمعلوماتي في القرن الأخير، ما كان ممكناً أن يصبح في متناول الجميع بدون الإنترنت كواسطة لنقل المعرفة، ولذا فالتعبير الشائع الآن هو "ثورة الإنفوميديا"، أي ثورة في المعرفة وثورة في وسيلة نقل المعرفة، وهكذا تتم حرفياً العبارة: «المعرفة تزداد».

٣- إن نبوة الكتاب عن الوحش صاحب الرقم ٦٦٦ في سفر الرؤيا أصحاح ١٣:١٦-١٨، يصبح من الصعب فهمها وكيفية إتمامها بدون

الإنترنت. ونحن حتى سنوات قليلة مضت، كنا نصدق كلمة الله، ونعرف أن هذه العبارات لا بد أن تتم حرفياً، لكن ما كنا نفهم كيف ستتم، فمن الواضح أن الوحش سيكون له طابع اقتصادي وليس سياسي فقط وأنه سيسطر اقتصادياً على العالم كله حتى لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع دون أن يخضع للنظام الاقتصادي الذي يرأسه، فالكتاب يقول: « ويجعل الجميع الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى، أو على جبهتهم وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش، أو عدد اسمه، هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش، فإنه عدد إنسان وعدده ستمئة وستة وستون» (رؤيا١٣: ١٦-١٨).

وأنا لا أدعي أني أستطيع وضع تصور دقيق عن كيفية الإتمام الحرفي لهذه النبوة، لكن إذا وضعنا في الاعتبار الآتي، ربما يسهل علينا تصور كيفية إتمامها:

أ- لقد وحَّدت الإنترنت العالم وجعلته قرية صغيرة، وهي العمود الفقري لعملية العولمة، والتي تجري على قدم وساق لتوحيد العالم فكرياً واقتصادياً وثقافياً، ويستخدمها الآن حتى الأطفال - كما رأينا- ولا أستبعد أنه في غضون سنوات لن يقدر إنسان أن يعيش بدون استخدام الإنترنت، لتعدد مجالات استخدامها والتي تمس عصب الحياة اليومية للإنسان. وربما يلقي هذا ضوءاً على العبارة: «الجميع الصغار والكبار الأغنياء والفقراء الأحرار والعبيد».

ب- ربما يعلم عزيزي القارئ أن التجارة العالمية، بل الاقتصاد العالمي كله، يقع في يد ثلاث منظمات فقط هي: البنك الدولي،

صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية. وهي أضلاع مثلث معروف لمجلس إدارة اقتصاد العالم، وأطلقت جريدة الأهرام في ١٩٩٩/١٢/٢٤ على هذا المجلس هذه العبارة: "**هم سادة العالم المتحكمون في الأسواق والأرزاق ومصائر الشعوب**"، وطالما هناك مجلس إدارة فلابد لهذا المجلس من رئيس – طبقاً لجريدة الأهرام – يتحكم في أسواق العالم وأرزاق ومصائر الشعوب، ولا أستبعد أن يكون هذا هو الوحش.

ج- ربما يندهش القارئ إذا علم أن التجارة العالمية الآن بصدد الانتقال نهائياً من المعارض والأسواق إلى شبكة الإنترنت، وهي ما يسمونه "التجارة الإلكترونية"، فبدلاً من إنفاق الأموال الطائلة في بناء المعارض والأسواق، يشتري الناس ويبيعون من خلال الإنترنت. وقد رصدت الولايات المتحدة مئات الملايين من الدولارات لنشر هذه التجارة ولحمايتها أيضاً، إذ قد بلغ حجمها في عام ١٩٩٨ إلى ٨٤ مليار دولار، ومن المتوقع أن تصل في نهاية عام ٢٠٠٢ إلى ترليون دولار، بل إن "مايكل ديل" صاحب شركة الكمبيوتر العملاقة في أمريكا والتي تحمل اسمه، يبلغ إيراده اليومي ٣٠ مليون دولار يأتي ٤٠% منها عن طريق الإنترنت. وبالطبع تقوم هذه التجارة على كروت الائتمان (مثل *Visa* و *Master* وغيرهما) والتي هي عصب التجارة في أمريكا، حيث أن ٥% فقط من الأمريكيين يتحركون ومعهم أوراق نقدية، والباقي يعتمد على هذه الكروت، إلا أن حوادث سرقة أرقامها من على الإنترنت واستغلالها جعل البحث عن وسيلة أخرى ضرورة ملحة.

وفي هذه الحالة لا بد من اللجوء إلى الوشم الذي يُقرأ بالأجهزة أو الرقم الذي يدخل، أو الاسم السري *(password)* لتتم عمليات البيع والشراء. وربما يلقي هذا الضوء على العبارة: « لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه».

٤- إن سهولة الحصول على المعرفة لم يسهّل حياة الإنسان، بل على العكس، عقّدها للغاية وأصبح لدينا تعبير جديد هو: "الضغط المعرفي"، فكثرة المعرفة تمثل ضغطاً نفسياً على الإنسان، يجعله أحياناً عاجزاً عن اتخاذ القرار، وتتم كلمات الحكيم في جامعة ١:١٧،١٨ « وجهت قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح، لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم، والذي يزيد علماً يزيد حزناً». وعليه فقد زادت حالات الاكتئاب في العالم بشكل مرعب، ومعدلات الانتحار بين الشباب الصغير تتزايد، أي أن انتشار المعرفة، وإن كان ساهم في حل بعض المشاكل، إلا أنه أوجد فراغاً هائلاً في نفس الإنسان، وأوجد له مشاكل أخرى بلا حل. وهكذا تتم نبوة المسيح عن آخر الأيام إذ يقول: «وعلى الأرض كرب أمم بحيرة» (لوقا٢١:٢٥).

٥- لا يمكن لأي منصف أن ينكر الخطر الأخلاقي المرعب والذي تهدد به هذه الشبكة البيوت والعائلات ولا سيما الأطفال، فكما رأينا التزايد الرهيب في عدد الأطفال والمراهقين من مستخدمي الشبكة، فالمواد الجنسية والأفكار الشيطانية وكل البدع والهرطقات والأفلام الرديئة، كلها أصبحت في متناول أصابع الصغار، هذا بالطبع سيساهم في الانهيار العائلي والأخلاقي والذي تنبأ الكتاب عن حدوثه في آخر الأيام.

## خلاصة هامة

أرجو أن يكون من خلال هذه الدراسة قد تبرهن للقارئ العزيز وصول قطار البشرية لمحطته الأخيرة، فقد حان وقت المنتهى، وصوت عجلات القضاء الإلهي نسمعه يقترب. فيا ليت كل قارئ يتيقن في نفسه أنه في خطر شديد أن يفقد نفسه الخالدة للأبد إن كان لا يستفيد من اللحظات الأخيرة الباقية على انتهاء زمن النعمة وأناة الله، ويسرع للاحتماء في المسيح المخلص، الذي ما زال يدعو كل خاطئ ومتعب وحائر، فدمه الذي سُفك يمنح الغفران، وشخصه المُقام يمنح الأمان.

فتعال إليه قبل أن يأتي الرعب الأبدي.

# الباب السابع

# الاستنساخ

## التمرد الأخير واليوم الأخير

# الفصل الثاني عشر

# الاستنساخ: كيف تم؟

«لأنك أنت اقتنيت كليتيّ. نسجتني في بطن أمي. أحمدك من أجل أني قد امتزت عجباً. عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقيناً. لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنعت في الخفاء ورُقِّمت في أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتبت يوم تصورت، إذ لم يكن واحد منها. ما أكرم أفكارك يا الله عندي ما أكثر جملتها» (مزمور١٣٩: ١٣-١٧).

لم يكن ذلك اليوم في الأسبوع الأول من مارس ١٩٩٧ يوماً عادياً مثل سائر الأيام.

ففي هذا اليوم اجتمع المئات من مصوري الصحف والمجلات ووكالات الأنباء العالمية في معهد روزلين باسكتلندا، والتفوا جميعاً في انبهار حول نعجة تقف مختالة في حظيرة المعهد، يلتقطون لها آلاف الصور . وبينما كانت "دوللي"، وهو اسم هذه النعجة التي صارت أشهر نعجة في التاريخ، تقف أمام عدسات الكاميرات، تأخذ "بوزات" التصوير المختلفة، لتتصدر صورها في اليوم التالي أغلفة الصحف والمجلات ونشرات الأخبار، كان

فريق العلماء في هذا المعهد بقيادة "إيان ويلموت" يعقدون مؤتمراً صحفياً، ليزفوا إلى العالم خبر ولادة أول نعجة، تم إنتاجها بطريقة الاستنساخ الجسدي (cloning). وما هي إلا ساعات حتى خرجت مجلة "نيتشر" - وهي أعظم المجلات العلمية احتراماً - بالتفاصيل الدقيقة لهذه العملية المثيرة، والتي تُعد ثورة علمية بكل المقاييس، لتضع العالم كله في لحظات من الذهول، تتراوح ما بين عدم التصديق والرفض والانبهار.

وكانت التساؤلات الملحة وقتها في أذهان الناس هي:

*هل يمكن أن يعملوا هذه التجربة على الإنسان؟*

*هل يمكن أن تنجب المرأة دون الحاجة للرجل؟*

*هل يمكن لواحد أن يستنسخ صوراً أخرى من الذين يحبهم، أو حتى الذين يبغضهم لينتقم منهم؟*

*هل يمكن استنساخ العباقرة والعلماء؟*

*وإذا نجح العلماء في استنساخ البشر، فكيف سيكون وضع هؤلاء المستنسخين ؟ هل ستكون شخصية النسخة الجديدة مثل تلك التي عرفها الناس في النسخة الأصلية؟*

*كيف سيكون حال الشخص الذي يعرف أنه مستنسخ؟ ما هي حالته النفسية؟ وما هو عمره الحقيقي؟*

ومما زاد من حيرة الناس وهلعهم، أن المجلات العلمية التي قدمت تفاصيل هذه التجربة، ذكرت أن الإمكانيات اللازم توافرها لإجراء هذه العملية على البشر متوفرة في أي مركز بسيط من مراكز أطفال الأنابيب، وذكرت أيضاً أن هناك تجارب بدأت بالفعل لاستنساخ البشر، وإحدى هذه التجارب قام بها

د."ستيلمان"و د."هول" من جامعة "چورچ واشنطون"، وقد عاشت النطفة المستنسخة لمدة ٦ أيام وماتت. وأثناء كتابة هذا الكتاب نشرت جريدة الأهرام المصرية في ديسمبر ٢٠٠٠ أن مجلس العموم البريطاني وافق على استنساخ البشر. ومصر وافقت على تجارب استنساخ الحيوانات وقبل أن تهدأ الضجة التي أحدثتها دوللي، خرج فريق من علماء معهد "أوريجون" بالولايات المتحدة ليعلنوا خبر ولادة أول توأم من قرود الريزوس - وهي من الثدييات قريبة الشبه جداً من الإنسان - عن طريق الاستنساخ الجسدي أيضاً، أي بنفس طريقة استنساخ النعجة دوللي .

**والسؤال الذي يهمنا نحن كأولاد الله هو: هل هذا يعني شيئا لنا؟** ماذا عسانا أن نقول أمام هذا الأمر: استنساخ الإنسان؟ هل سينجح العلماء في الوصول لاستنساخ البشر فعلاً؟ وما هو فكر الله من جهة أمر كهذا لو تم؟ وهل لهذا من علاقة بنهاية الأيام؟

هذا ما سأحاول أن أجيب عنه هنا.

لكن قبل أن أجيب عن هذه الأسئلة أود أن أوضح لقارئي العزيز ما هو الاستنساخ وكيف يحدث؟

## الخلية : تلك الأعجوبة الإلهية

لكي نفهم شيئاً عن الاستنساخ لا بد أن نعرف شيئاً قليلاً للغاية عن تلك الأعجوبة الإلهية التي تبهر عقول العلماء، بل ودعت البعض منهم في غباوة إلى تأليهها؛ ألا وهي الخلية.

لقد صارت الخلية في السنوات العشر الماضية، هي موضوع الأبحاث الطبية المتقدمة في كل العالم، بل وقيل إن طب القرن القادم يعتمد كلية على

دراسة الخلية.

والخلية هي تلك الوحدة الصغيرة جداً والتي يتكون جسم الإنسان من عدد مهول منها. وتعتبر الخلية، بدون أي مبالغة أو تهويل، أكثر تعقيداً من أي مصنع على وجه الأرض، ولم تصل تكنولوجيا الإنسان، على الرغم من كل ما وصلت إليه في القرن العشرين، ولا إلى واحد من مليون من تعقيدات الخلية وإعجازها؛ فهي وحدة إنتاجية عجيبة الشكل، تحكمها قوانين بالغة الدقة، وفهم بعض ما يحدث فيها يستلزم من الدارس معرفة بالطب والهندسة والحساب والكيمياء والفيزياء والاتصالات والحاسبات وغيرها من فروع العلم المختلفة. وهناك شبه اتفاق عام بين العلماء، على أن العلم ما زال يحبو من جهة فهم ألغاز الخلية، ذلك على الرغم من المليارات الكثيرة التي تنفق على الأبحاث والدراسات المختصة بها .

بقي أن تعرف أن جسم الإنسان يحتوي على حوالي من ٣٠-١٠٠ تريليون (التريليون هو مليون مليون أي ١٠^١٢) خلية، وأن هذا المصنع الجبار الذي نتكلم عنه، قد يحتوي المليمتر الواحد من جسم الإنسان على بضعة آلاف منه!!

وهذه الخلية تتكون أساساً من مادة تسمى السيتوبلازم، يحيطها جدار رقيق، وتتوسط السيتوبلازم نواة بها المادة الوراثية التي تحدد وتنتج كل الخصائص التي تميز هذا الإنسان عن غيره من البشر، بل وعن غيره من باقي الكائنات الحية، وهي أيضاً المسئولة عن انتقال كل خصائصه هذه إلى أجياله من بعده ولهذا يسمونها "سر الحياة". وتسبح في هذا السيتوبلازم جسيمات مختلفة تؤدي وظائف مختلفة؛ بعضها عُرفت وظيفته وبعضها

ما زالت مجهولة الوظيفة .

وما يهمنا بصدد الحديث عن الاستنساخ هو تلك النواة التي تقبع في مركز الخلية، وما تحويه من مادة وراثية عجيبة .

فهذه المادة هي المادة الوحيدة، في جسم الإنسان بل وفي كل الكون، القادرة على أن تنسخ نفسها، لتنتج نسخة طبق الأصل من نفسها، أي تنتج نواة جديدة بذات الحجم والشكل والتركيب، ثم تأمر الخلية أن تنقسم إلى قسمين، وتنتقل نسخة النواة للقسم الجديد ليصبح عندنا خليتان بدلاً من واحدة. هذه المادة العجيبة التي تنسخ نفسها، هي المسئولة عن تكاثر الكائن الحي، سواء كان إنساناً، أو حيواناً، أو نباتاً، أي مسئولة عن انتقال الحياة من جيل إلى آخر. وهذه المادة تتكون أساساً من حامض يسمى الحمض النووي الديوكسي ريبوزي *Dioxy Ribo Nucleic Acid*، ويشار إليه بالاختصار *D.N.A.* أو (دنا) بالعربية، وسُمي حمضاً لأن به مجموعة فوسفات ذات شحنة سالبة، وسمي نووياً لأنه موجود بالنواة. وعلى الرغم من معرفة العلماء لتركيب وتكوين الـ(دنا) إلا أنهم لا يعرفون سر قدرته على نسخ نفسه، أي سر الحياة.

وهذه المادة – كما ذكرت – موجودة في خلية أي كائن حي، إلا أنها تختلف في كميتها، وفي ترتيب جزيئاتها من كائن لأخر، ومن فرد لأخر في ذات النوع من الكائنات. والعجيب أن اختلاف ترتيب بعض القواعد العضوية المرتبطة بجزيئات الـ(دنا) هو الذي يجعل الكائن شجرة أو حيواناً أو إنساناً، وهو الذي يميز إنساناً عن آخر.

ويوجد الـ(دنا) في نواة خلية الإنسان على شكل عصيات صغيرة، عددها

٤٦ وتسمى كروموسومات، وكل عصية (كروموسوم) منهم عبارة عن تجمع رهيب لآلاف الكريات الصغيرة والتي تسمى الچينات. وكل چين عبارة عن وحدة وراثية مسئولة عن خاصية معينة من خصائص الكائن الحي الذي يحملها، أي أن الچين عبارة عن موضع معين على الكروموسوم يحدد صفة معينة في الكائن الحي.

وفي الخلية البشرية، تحمل الكروموسومات حوالي مائة ألف چين، وكل چين من هذه الآلاف الكثيرة مسئول عن شيء معين في جسم الإنسان؛ فهذا مسئول عن الطول، وهذا مسئول عن الوزن، وآخر عن لون العين، وآخر عن الشعر، وآخر عن إفراز الإنسولين، وآخر مسئول عن إفراز إنزيم من إنزيمات الهضم، وآخر عن تكوين الدم، وآخر عن الذكاء وآخر عن النمو. وهكذا آلاف الخصائص والوظائف تحددها وتقوم بها هذه الچينات الموجودة داخل كل خلية من خلايا الإنسان، وهي مقسمة من جهة وظيفتها كالآتي ٨% من عددها مسئول عن تكوين الجسم، ١٧% مسئول عن التمثيل الغذائي والحيوي في الجسم، ١٢% مسئول عن انقسام الخلية، ١٢% من عددها مسئول عن الدفاع والمناعة، ١٢% مسئول عن الإشارات والأوامر *signaling*، ٢٢% من عددها مسئول عن تصنيع البروتينات المختلفة في الجسم، أما الباقي وهو ١٧% فغير معلوم الوظيفة إلى الآن.

وكمية الـ*D.N.A.* الموجودة بداخل الخلية تنبؤنا بوجود مشكلة في حزمها وضغطها لكي تشغل هذا الحيز الصغير في نواة الخلية. فعلى سبيل المثال، الخلية البشرية تحتوي على حوالي ٢,٢متر من الـ (دنا) الموزع على ٤٦ كروموسوم، وهكذا فإن كل كروموسوم يحتوي على حوالي ٤,٨ سم أي ٤٨ ألف ميكروميتر من الـ*D.N.A.*، بينما الكروموسوم البشري نفسه طوله لا

يتعدى ٦ ميكروميتر، وهذا يعني أن الـ*D.N.A.* يتم ضغطه بنسبة ١:٨٠٠٠!!!

ومن هذا يمكننا أيضاً بحسبة بسيطة أن نقول إن طول الكروموسومات الموجودة في جسم إنسان واحد، إذا وضعت جنباً إلى جنب، يصل طولها إلى حوالي ١٦٠ مليار كيلومتر!!

**التكاثر الطبيعي: ترتيب الله**

لقد رتب الله من بدء الخليقة أن يكون تكاثر معظم الكائنات الحية - بما فيها معظم النباتات - تكاثراً جنسياً، بمعنى تكوين الكائن الحي الجديد من تزاوج ذكر وأنثى. وفي الإنسان، رتب الله هذا الأمر بشكل غاية في الروعة كالآتي:

هناك نوعان من الانقسام يحدثان في جسم الإنسان، وفي كل الكائنات التي تتكاثر بالتزاوج، أي تكاثراً جنسياً.

النوع الأول: وهو الذي يحدث في كل خلايا الجسد التي تنقسم ويسمى الانقسام الميتوزي، وفي الحقيقة ليس هو انقساما بقدر ما هو نسخ، حيث أن كل خلية تمارس هذا النوع من الانقسام تنتج في النهاية خليتين يشابهانها تماماً، فالخلية الجسدية في جسم الإنسان، على سبيل المثال، قبل أن تنقسم تحتوي على ٤٦ كروموسوماً، وبعد أن تنقسم يصير عندنا خليتان تحتوي كل منهما على ٤٦ كروموسوماً، وبالتالي فهي لم تنقسم ولكنها نسخت نفسها.

النوع الثاني: وهو لا يحدث إلا في مكان واحد في جسم الكائن الحي، يحدث في الخصية في الذكر، وفي المبيض في الأنثى، ويسمى الانقسام الميوزي، أو الاختزالي، فخلية الخصية في الرجل، والمبيض في المرأة، عندما تنقسم، تنتج خليتين تحتوي كل منهما على نصف عدد الكروموسومات

الموجود في الخلية الأم، أي ٢٣ كروموسوم في نواة الخلية ما دمنا نتكلم عن الإنسان، وهذه الخلية التي تحوي نصف العدد هي الحيوان المنوي في الرجل والبويضة في المرأة، وعندما تخرج البويضة من المبيض وتتجه نحو الرحم، إذا حدث ووصلها حيوان منوي فإنه يخترق غشائها، ويدخل داخلها، فتتحد نواته مع نواتها في إتقان مذهل، وهكذا تتكون خلية واحدة من ٤٦ كروموسوماً، هم مجموع ٢٣+٢٣، ثم تبدأ هذه الخلية في الانقسام انقساماً ميتوزيا، كما تنقسم الخلايا الجسدية، أي تنسخ نفسها، فتنقسم إلى اثنتين تحتوي كل منهما على ٤٦ كروموسوماً، ثم الاثنتين إلى أربعة ثم ثمانية ... وهكذا حتى تصل إلى ٦٤. وتواصل بعد هذا انقسامها، لكن بعد أن تكون كل مجموعة من الخلايا قد تخصصت لتنتج شيئاً متميزاً؛ فمجموعة تصبح في النهاية هي العظام وأخرى تصبح هي الشعر، وأخرى تصبح جلداً، وأخرى تصبح كبد، أو أخرى تصبح الدم، وأخرى تصبح الأعصاب، وهكذا حتى يتكون الجنين الذي ينمو إلى أن يولد بعد تسعة أشهر تقريباً.

هذه هي الطريقة العجيبة التي رتبها الخالق، **فماذا يريدون أن يعملوا من خلال الاستنساخ؟**

إنهم يتدخلون في خطوات الطريقة الإلهية التي حددها لتكاثر الكائنات الحية، فيجعلون التكاثر يتم من دون تزاوج! وتبقى العلاقة الجنسية لمجرد المتعة، لا كوسيلة حددها الله للإنجاب.

## ماذا فعل د.إيان ويلموت وشركاؤه؟

كان إيان ويلموت وزملاؤه في معهد روزالين بأدنبرة يبغون الحصول على بروتين بشري معين، يُستخدم في علاج الأطفال المبتسرين وناقصي

النمو، والذين يولدون بهذا العيب، أي نقص هذا البروتين، والذي يسمى ألفا لاكتالبيومين. وقد نجح ويلموت في تحقيق ذلك من خلال إدخال الچين البشري المسئول عن صنع هذا البروتين - والذي أخذه بالطبع من إنسان سليم - إلى نواة بويضة إحدى النعاج، ثم خصب هذه البويضة بحيوان منوي من خروف. وقد تم التخصيب في أنبوبة بنفس طريقة أطفال الأنابيب، وعندما نجح الإخصاب نقل النطفة المخصبة إلى رحم إحدى النعاج، ونما الجنين في رحمها بسلام ، وولدت في النهاية نعجة سليمة تماماً، وقد أطلقوا عليها اسم "روزي"، ولكونها تحوى في خلاياها هذا الچين المسئول عن إفراز الألفالاكتالبيومين، فبمجرد أن بلغت وابتدأت تدر اللبن، كان لبنها يحوي كمية وفيرة منه، أمكن تجفيفها وتعقيمها وبيعها على شكل بودرة تنقذ حياة الأطفال المرضى. وفى غمرة أفراح ويلموت بنجاح هذه العملية، جاءته فكرة أحزنته، ألا وهى أنه إذا حدث وتزوجت روزي وأنجبت، فإنه لا يضمن أن ابنتها ستحتوي على هذا الچين البشري، والذي بذل مجهوداً كبيراً لينجح في الحصول عليه، ثم زرعه بعد ذلك في البويضة والتي صارت فيما بعد النعجة "روزي"، بل ربما يضيع الچين نفسه أثناء عملية الانقسام. لذا فكر في طريقة يوجد بها ابنة لروزي تكون نسخة طبق الأصل من روزي دون أن تتزوج روزي!! أي أنه يبغي استنساخ روزي ! فماذا فعل؟

أخذ ويلموت خلية من ثدي روزي، وبالطبع بها الچين المسئول عن إفراز هذا البروتين، ثم أخذ بويضة من نعجة أخرى وأفرغها من نواتها التي تحوي صفاتها الوراثية، ثم أدخل نواة الخلية الجسدية التي أخذها من ثدي روزي في تلك البويضة الخالية من النواة، ومن خلال شرارة كهربائية تمت عملية الاندماج بين نواه الخلية والبويضة الخالية من النواة، وهكذا أصبح

عندنا بويضة تحوي داخلها عدد كامل من الكروموسومات وليس نصفها، وكأنه حدث تزاوج (دون أن يحدث في الواقع). وهذه الكروموسومات هي بالطبع كل كروموسومات روزي، والتي تحمل جميع خصائصها بما فيها القدرة على إفراز الألفالاكتالبيومين. لكن بقيت مشكلة، أن كل حامض نووي يؤخذ من خلية جسدية به شفرة معينة تجعله عندما ينقسم يكون خلية من نفس نوع الخلية السابقة، أي في حالتنا هذه، إذا انقسمت الخلية فإنها ستنتج ثدي نعجة، لذلك كان لابد أن يدخل الحامض النووي في دور الكمون حتى تنفك الشفرة تلقائيا، فلا تصبح هذه الخلية متخصصة، بل تكون كأي خلية جنينية غير متخصصة. وهكذا وضع إيان هذه البويضة - والتي لم تعد بويضة الآن - في مزرعة لمدة عدة أيام دون إمدادها بالغذاء حتى تدخل الخلية في دور الكمون، وهذا ما فعله الحامض النووي الموجود في الكروموسومات فعلا: دخل في دور كمون، وبعد عدة أيام ابتدأ يمدها بالغذاء من جديد، فإذ بها تنقسم ويتوالى انقسامها دون أي تخصص في البداية كأي جنين، ولقد قام إيان ويلموت وكامبل بهذه الخطوات مع ٢٧٧ خلية وبويضة، ولم ينجحا إلا في ٢٩ فقط لم يعش منهم لأكثر من ستة أيام سوى جنين واحد، انقسم ونما، فأخذوه وزرعوه في رحم نعجة ثالثة، وحملته بنجاح لمدة ١٥٠ يوم (هي مدة الحمل) وتمت عملية الولادة في سهولة ويسر، وولدت الآنسة دوللي صورة طبق الأصل من الأم روزي، ولم يكن لدوللي من جهة خصائصها أي علاقة بالنعجة التي أخذوا منها البويضة ولا بالنعجة التي حملتها، بل كانت صورة طبق الأصل من روزي. ولقد تكتم العالمان خبر ولادة دوللي ثمانية أشهر كاملة، وهم يتابعان حالة دوللي، ثم فجرا هذه القنبلة التي أبهرت العالم.

وقد صرح العالمان أنه بعد إنتاج عشرة أجيال من دوللي بنفس الطريقة، حتى يترسخ وجود الچين الآدمي المسئول عن إفراز البروتين ألفا لاكتالبيومين - يمكنهم ترك الأجيال الجديدة تتزاوج بالطريقة العادية لتنتج أجيالاً جديدة تحوي هذا الچين. ولقد تكلفت الأبحاث التي أدت إلى ولادة دوللي ٤/٣ مليون دولار. إلا أنه يعتبر مبلغ زهيد إذ أن هذه الحيوانات تعتبر مصانع أدوية حية ومتحركة. وبعد أيام ليست بكثيرة من ولادة دوللي، نجح نفس العالمان في إنتاج نعجة جديدة بنفس الطريقة اسمها پوللي.

والآن ننتقل إلى السؤال الهام:

## ماهي الدلالات الروحية في الاستنساخ؟

وهذا ما نجيب عنه في الفصل القادم.

# الفصل الثالث عشر

# الاستنساخ والدلالات الروحية

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم. وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (تكوين٦: ٥-٨).

## ترتيب الله وتمرد الإنسان

أود أن يكون قد اتضح مما سبق أن الاستنساخ لا يعني تخليق كائن حي، فهيهات للعلماء أن ينجحوا في تخليق لا أقول نملة بل حتى ميكروب صغير. فهم لم يستحدثوا .D.N.A، أو مادة حية، بل كل ما فعلوه هو أنهم تدخلوا في الطريقة التي يُوجد بها الكائن الحي، مستعملين نفس المواد الخام التي خلقها الله، والتي يصنع منها كائناته الحية.

إلا أن هذا التدخل إذا تم على البشر - من وجهة نظري - فلن يكون إلا دلالة على حماقة الإنسان في غروره الباطل، وسيكون حلقة جديدة في سلسلة

تمرد الإنسان الطويلة على كل ترتيب عمله الله. ولقد اتسمت نهايات القرن العشرين - بصفة خاصة - بظهور غباء الإنسان وحماقته في التمرد على ترتيب الله بشكل قميء في مجال الجنس والتكاثر، كان أخرها وأخطرها هو الاستنساخ، وسأذكر لك بعض الأمثلة التي تريك حماقة الإنسان في هذا المجال.

**١- الحرية الجنسية**

من بداية النصف الثاني من القرن العشرين، ابتدأ الغرب في إطلاق الحريات الجنسية دون ضابط أو رادع؛ فألغوا أي قوانين تقيد هذه الحريات، وخفضوا من وطأة النجاسة والزنا على ضمائر البشر من خلال ادعاءات العلم الكاذب الاسم، مستندين على نظريات فرويد وغيره. ولقد تم فيهم كلام الكتاب: «أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم» (رومية١: ٢٤)، فالجسد الذي أتقنه الله بل وأبدع في صنعه، بل واشتراه المسيح بدمه، جعلوه مجرد وسيلة لإشباع غرائزهم الحيوانية دون رادع أو ضابط؛ عروه واستعرضوه وأباحوه وباعوه بأي ثمن. نعم، أهانوا أجسادهم التي أكرمها الله.

**٢- الشذوذ الجنسي**

ثم بدأنا نلحظ - ولا سيما في الثمانينات وزادت جداً في التسعينات - حركات ومنظمات الشواذ جنسياً. ومع أنه منذ فجر التاريخ وهذا النوع من التمرد على ترتيب الله موجود، إلا أنه تفجر بشكل مرعب في نهاية القرن العشرين، بدءاً بتصريحهم علناً عن شرهم وفجورهم وعدم الخجل من ذلك، ثم تكوين منظمات رسمية تطالب بحقوقهم، وإقامة نوادي عامة لهم يضعون شعاراتها المعروفة في الشوارع، وتنظيم المظاهرات الضخمة التي تشمل مئات الآلاف منهم للإعلان عن تواجدهم والمطالبة برفع أي حظر على أنشطتهم

النجسة، والمطالبة بتواجدهم في المؤسسات الكبرى كالجيش وخلافه، ثم الكارثة الكبرى بمطالبة الدولة بتوثيق عقود زواجهم رجلاً برجل وامرأة بامرأة، وإعطائهم حق التبني لأطفال ينشئون مع رجلين أحدهم الأب والثاني هو الأم أو مع امرأتين!

وفي المدارس الإبتدائية يقدمون للأطفال الصغار تعريفاً جديداً للعائلة، فيعلموهم أنه ليس من المحتم أن تتكون العائلة من رجل وامرأة، لكن من الممكن أن يكونا رجلين أو امرأتين!

ثم تصل المأساة لقمتها عندما توافق كنائس كثيرة في أمريكا والغرب على ذلك، بل وقبلوا قسوساً منهم. ولا مانع عندهم من عقد قران هؤلاء الفجار في الكنائس!

كل هذا يرينا جانباً من تمرد الإنسان على ترتيب الله في مجال العلاقات الجنسية، ويقول الكتاب عنهم: «لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكورٍ ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق» (رومية١: ٢٦،٢٧). ولاحظ تكرار كلمة الطبيعي مرتين هنا، والطبيعي يعني ترتيب الله، وغير الطبيعي هو ما يُخرجه ذهن الإنسان الفاسد، لا لشيء إلا لمجرد التمرد على ما وضعه الله. ثم لاحظ أيضاً في هذه العبارات تكرار كلمتي ذكور وإناث وليس رجال ونساء، مع أنه ليس من عادة الكتاب أبداً أن يتكلم هكذا عن البشر، لكن هنا كأنه يريد أن يقول أن هؤلاء البشر انحطوا عن مرتبة الإنسان إلى الحيوان، فالرجال الشواذ ليسوا

هم رجال بل مجرد ذكور، والنساء الشواذ لسن هم نساء بل مجرد إناث.

**٣- هدم الزواج**

ثم كان التمرد الثالث والرهيب، وهو رفض فكرة الزواج. لقد أصبح الزواج الذي قال عنه الله: «ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (عبرانيين١٣:٤) ، أصبح مرفوضاً منهم، إذ يعتبرونه فكرة سخيفة أن يقيد الإنسان نفسه بآخر يشاركه حياته وينجب أطفالاً يعيش لأجلهم. لقد صار العصر عصر الأنانية وعبادة الذات، وهذا ما لا تتوافق معه فكرة الزواج.

وتقول الإحصائيات إن عدد الزيجات في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٠ تناقص بنسبة ٣٠% بينما زادت حالات الطلاق بنسبة ٥٠%، وصار أكثر من مليون طفل كل عام يشهدون طلاق أبويهم في الولايات المتحدة الأمريكية، وصار الآن عندهم ١٠ مليون طفل يعيشون بدون أحد الأبوين بسبب الطلاق، كما أن عدد الذين يعيشون معاً بدون زواج زاد بنسبة ١٠٠%. والطامة الكبري، أن نصف أطفال الولايات المتحدة الأمريكية الآن أطفال غير شرعيين.

**٤- حبل الرجال**

هل تتخيل - عزيزي القارئ - هذا الأمر؟

بعد أن تمردوا على ترتيب الله في الجنس والزواج، وصلت سخافتهم للتمرد على ترتيبه من جهة الحبل والولادة، فإذ بهم يبغون جعل الرجال يحبلون ويلدون، وهذا ليس محض خيال، بل أنهم يجرون تجاربهم بالفعل للوصول إلى ذلك، ولا يبغون من وراء ذلك إلا الشهرة والصيت، وإن كان على حساب تدمير كل ترتيب عمله الله.

**٥- الاستنساخ**

وآخر الكل، ها هم يبغون التمرد على وسيلة التكاثر التي وضعها الله، فينوون استنساخ الإنسان دون زواج. ولا يتسع المجال هنا لشرح بعضاً من الآثار السلبية المدمرة على صحة الإنسان المستنسخ إذا نجحوا في ذلك، لكننا ننظر إليه فقط من هذه الوجهة: أنه تمرد سافر على ترتيب الله.

## هل ينجحون؟

ما زال هذا السؤال يطرح نفسه على أذهان الكثيرين، وأراه شيئاً من الاندفاع أن نسرع لنقول: "لا وكلا، لن ينجحوا"، فقد قال الرب مرة عن البشر في حادثة تمرد أيضاً على الله «لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه» (تكوين١١: ٦)، وهذا يعني أن بني البشر عندما ينوون على شيء فهم يصلون إليه. لكن في نفس هذه الحادثة (حادثة بناء برج بابل) والتي صرح الله فيها هذا التصريح الخطير، قرر منعهم من إتمام عملهم عندما بلبل ألسنتهم «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة» (تكوين١١: ٧،٨).

## التمرد والقضاء

وإن كنا نقول إنهم ربما ينجحون في استنساخ البشر، إلا أننا يمكننا الجزم بأن عملاً كهذا لا يمكن أن يمر دون قضاء.

فعندما تمردوا في بناء مدينة بابل، تدخل الله بالقضاء وبلبل ألسنتهم وبددهم. وعندما فجروا أيام لوط في سدوم وعمورة فاعلين الفحشاء من خلال الشذوذ الجنسي، تدخل الله ورمد مدينتي سدوم وعمورة (تكوين١٩).

لكن الحالة التي أراها قريبة الشبه بالاستنساخ وأنهاها الله أيضاً بأعظم قضاء سجله التاريخ، هي حالة التمرد الرهيب الذي حدث في أيام نوح، عندما دخل بنو الله على بنات الناس. ولسنا هنا بصدد شرح كيف يمكن تزاوج الملائكة الساقطين مع إناث من البشر، حيث يمكن للقارئ العزيز أن يرجع للكتب والشروحات التي ناقشت هذه القضية، لكن فقط أريد أن أقول إن هناك وجهاً كبيراً للشبه. فكما أوجد هذا التزاوج كائنات غريبة كانوا جبابرة ذوي اسم، كذلك فإن الاستنساخ إذا نجح سيوجد كائنات غريبة لا نعرف إن كانت ستحوي أرواحاً إنسانية عاقلة أم لا، ولا إن كانت تشملهم كفارة المسيح أمام الله أم لا، وهل سيكونوا مسئولين تشملهم الدينونة أم لا. ولكن يمكننا أن نجزم أنه كما أنهى الله قديماً هذا العبث الرهيب بترتيب خليقته من جهة التكاثر والأنسال بقضاء مروع قضى على كل الجنس البشري من خلال الطوفان، كذلك لا بد أن الله يتدخل أيضاً لينهي عبثاً بهذا المقدار وسيكون تدخله أيضاً بالقضاء العام.

## الاستنساخ والأيام الأخيرة

لقد علمنا المسيح أن الأيام الأخيرة التي تسبق انصباب غضب الله وقضائه على البشر تتميز بتمرد الناس على ترتيبات الله من جهة أمرين:

أولاً: العلاقات الجنسية كما حدث في أيام لوط

ثانياً: مسألة التكاثر والأنسال كما حدث في أيام نوح

فيقول الرب يسوع في رده على سؤال من الفريسيين: «متى يأتي ملكوت الله؟» أجاب: «وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان كانوا يأكلون ويشربون **ويزوجون ويتزوجون** إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع كذلك أيضاً كما كان في أيام لوط كانوا

يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان» (لوقا١٧: ٢٦-٣٠). وعليه يمكننا الجزم بأن القضاء والهلاك المروع وشيك الحدوث أمام تمرد الإنسان وعبثه المجنون بترتيب الله من جهة العلاقات الجنسية وأيضاً من جهة طريقة التكاثر التي حددها الله لتناسل بني البشر.

## العلم والكتاب

نحن لا ننكر أبداً فضل الأبحاث العلمية في أي مجال من المجالات التي تعمل على خير الإنسان وتخفيف آلامه ومعاناته، والكتاب أقرّ وصادق على عمل الأطباء واستخدام الدواء، لكن أود أن أذكر عزيزي القارئ بأن آلام البشر وأمراضهم ما هي إلا أحد نتائج دخول الخطية إلى العالم. والخطية قبل أن تسبب الأمراض فعلت ما هو أخطر وأردأ جداً، فلقد أهانت الله وأماتت الإنسان روحياً وأدبياً، وعليه فالعلاج الصحيح لمشكلة الإنسان ينبغي أن يبدأ بحل مشكلة الخطية حلاً صحيحاً، وهذا ما يقدمه المسيح؛ فبموته على الصليب صالح الإنسان مع الله، إذ رفع الإهانة ومحا بدمه أثر الخطية من على الله. والآن، هو يُحيي روحياً كل من يُقبل إليه، وعن قريب سيأتي ليملك ويسود وعندئذ يصلح جسم الإنسان ولن يعود محتاجاً لطب أو دواء.

## كلمة أخيرة

في عالم شرير يبذل كل جهده لتدمير كل ترتيب عمله الله، يقلب كل سننه، ويدوس بأقدامه ما تبقى من شرائع لله على الأرض، في عالم يغيظ الله كل يوم بشروره ونجاساته،

في عالم كهذا كيف ينبغي أن نسلك نحن كأولاد الله؟
وأي أناس يجب أن نكون نحن؟

ألا يدفعنا هذا التمرد على كل ترتيب عمله الله، أن نبذل كل الجهد في طاعة كل ترتيب رتبه الخالق الحكيم، إن كان بخصوص حياتنا الشخصية، أو بخصوص بيوتنا، أو بخصوص كنائسنا؟

وألا تدفعنا نجاسة العالم من حولنا إلى بذل كل الجهد للعيشة بالقداسة، ولا سيما من جهة الأمور الجنسية، فنحتفظ بأجسادنا طاهرة بل وبعيوننا أيضا كما علمنا المسيح؟

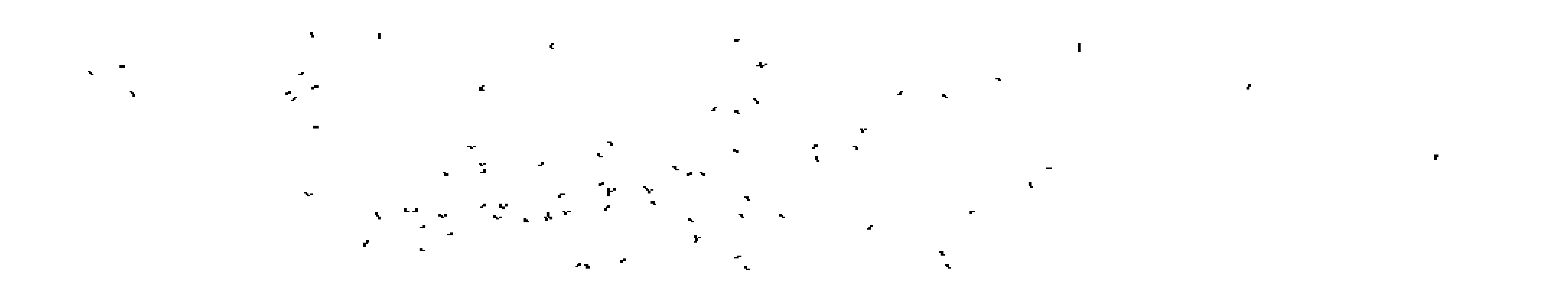
وألا تدفعنا بغضة العالم لإلهنا، وإغاظته له كل يوم بشرورهم، إلى مزيد من الحب العملي له والتكريس الحقيقي له، والذي لا يظهر فعلاً إلا في طاعته؟

ثم إني أوجه نداءً قلبيا لكل من لم يرجع إلى الله بالتوبة الحقيقية، ولمن لم يحصل على غفران خطاياه إلى الآن فأقول له :

من صلاح الله وشفقته على الإنسان أنه لم يهوِ بقضائه المخيف على البشر حتى الآن، ذلك على الرغم من اجتماع كل العوامل التي تجعل العالم يستحق، وبسرعة، غضب الله، فلم يأتِ وقت على البشرية زاد فيه فجورها مثل وقتنا هذا، ومع هذا ما زال الله يتأنى وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. لكن لا بد أن يعلم كل إنسان أن الكتاب المقدس، والذي لم يتنبأ بشيء عن الماضي إلا وتحقق بكل دقة، تنبأ أيضاً عن غضب مرعب عظيم سينصب على سكان الأرض عن قريب، نقول "عن قريب" بلغة اليقين، لأن علاماته وحيثياته التي سبق وأنبأنا بها لم تعد نبوات على صفحات المكتوب نقراها ثم نبذل الجهد لكي نفهمها، كلا بل صارت واقعاً

ملموسا يمثل الآن أمام أعيننا.

فهل تهرب من الغضب الآتي وترجع لله الذي احبك وتأنى عليك كل هـذه السنين؟





# خاتمة

# المستقبل القريب

هل يمكننا أن نضع تصوراً لمستقبل العالم في غضون الأيام القليلة المقبلة؟

وإن كنا لا نستطيع أن نتوقع التفصيلات، إلا أنه يمكننا في نور كلمة الله أن نتصور الإطار العام للإحداث.

وفي الحقيقة هناك إطاران لأحداث المستقبل القريب لا إطار واحد، وما يمكننا الجزم به هو أن مستقبل أي إنسان على وجه الأرض لن يخرج مطلقاً عن أحدهما.

**الإطار الأول: الاختطاف إلى السماء:**

في أحد الأيام، من حوالي ألفي عام، كان جميع تلاميذ المسيح مجتمعين معا، وفجأة، ودون سابق إنذار، صار صوت من السماء كما من هبوب ريح عاصفة، ملأ كل البيت حيث كانوا مجتمعين، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وطفقوا ينطقون بألسنة جديدة، يتكلمون بعظائم الله (أعمال ٢: ١-٤)!! فماذا يكون هذا؟

لقد أتى الله إلى العالم! تماماً كما جاء قبل ذلك بقليل أقنوم الابن، آتى الآن أقنوم الروح القدس، أتى وسكن واستقر في الذين أمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً. وفي تلك اللحظة عينها وُلدت الكنيسة، أي وُلد جسد المسيح. يقول الكتاب: «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (اكورنثوس١٢: ١٣)، وأيضاً تكوَّن لله مسكن على الأرض «مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» (أفسس٢: ٢٢).

ولمدة ألفي عام والكنيسة على الأرض، لم يكفّ الروح القدس الساكن فيها عن العمل فيها، ومن خلالها، ليأتي بالمعينين للحياة الأبدية، لينمو الجسد وليكتمل بناء المسكن، وليصبح الجسد المكتمل عروساً (أفسس٥ : ٣١،٣٢)، وليصبح المسكن المكتمل هيكلاً (أفسس٢: ٢١). وماذا بعد هذا؟

إلا أنه كما أتى الروح القدس فجأة إلى العالم؛ سيترك العالم أيضاً فجأة، سيُرفع من العالم، ومعه الكنيسة التي كوَّنها على مدار ألفي عام. يقول الكتاب «هوذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوّق، فيُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير، لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت» (اكورنثوس١٥: ٥١-٥٣).

ومن الواضح من العبارات السابقة أنه لن يرتفع بالمؤمنين كما هم، أي بأجسادهم الآدمية، لكنه سيجري فيهم آخر وأعظم عمل، وسيقدّم للكنيسة آخر وأعظم خدمة، بعد كل الخدمات الجليلة، والتي سبق وقدمها لها على مدار كل هذه السنين. فإنه سيُحي أجساد المؤمنين المائتة، والتي سكن فيها طويلاً، فتتغير، سيُطلق فيها دفقة مجيدة من الحياة، فيُبتلع المائت من الحياة

(٢كورنثوس٥: ٤). وأيضاً تقوم أجساد الراقدين، وكيف تُترك للفساد ولا تقوم، تلك التي كانت يوماً مسكنا لروح الله؟! انظر ماذا يقول الكتاب: «إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رومية٨: ١١).

وكما ارتبطت لحظة مجيء الروح القدس وتكون الكنيسة بحدوث صوت عظيم، كذلك سيرتبط يوم ارتفاعه مع الكنيسة عن الأرض بصوت عظيم آخر هو صوت البوق الأخير، والذي سيبوق به رئيس ملائكة. لكن هناك أيضاً صوت أحلى وأروع ستسمعه الكنيسة في تلك اللحظة المجيدة؛ هو صوت هتاف المسيح، يقول الكتاب: «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تسالونيكي٤: ١٦، ١٧).

وتحمل السحب الكنيسة المختَطَفة من الأرض، لتقابل عريسها المحبوب، والخارج للقائها في الهواء، العريس الذي كان قد سبق ووعد قائلاً: «أنا أمضي لأعُد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يوحنا١٤: ٢، ٣). وعلى هذا الوعد ظلت هي، طوال فترة خطبتها، تناديه مع الروح القدس، وتقول له «تعال» (رؤيا٢٢: ١٧). وفي طبقات الهواء العليا، بعيداً عن دنس الأرض وفسادها، يسلِّم الروح القدس العروس للعريس في مشهد بديع، تماماً كما سلم عبد إبراهيم رفقة لإسحاق. فيستلم المسيح عروسه هاتفاً هتاف الفرحة والنصرة، ثم يرتفع كلاهما ليكونا معاً كل حين للأبد، ويبدأان نشيد عرس لا ينقطع.

## الإطار الثاني: البقاء على الأرض

ماذا سيحدث على الأرض بعد اختطاف الكنيسة؟

آه على الأرض، لقد فارقها الروح القدس وتركتها الكنيسة، لقد رُفع من الوسط **الذي يحجز**(الروح القدس) (٢تسالونيكي٢:٧)، وأيضاً **رُفع ما يحجز** (الكنيسة) (٢تسالونيكي٢:٦). لقد فارقها من كان يجاهد مع البشر ليقتادهم إلى التوبة، وفارقتها المنارة التي كانت تحاول أن تهديها، فأمست الأرض بلا إله يحييها وبلا نور يهديها وبلا ملح يحميها، ولم يتبقَ لها سوى الموت والفساد والظلام الأبدي.

وعلى قدر فهمي لكلمة الله أتوقع لها الآتي:-

١- **الوحدة الأوروبية**:- أعتقد أنه في القريب العاجل ستتحقق الرؤيا التي سبق وطرحها "يوشكل فيشر" وزير خارجية ألمانيا الحالي، عندما طرح في محاضرة ألقاها في جامعة "هامبيولت" في برلين في مايو ٢٠٠٠، ما أسماه رؤيته الشخصية لمستقبل أوروبا، ومن أبرز ما جاء فيها الأتي :-

١- إنشاء حكومة فيدرالية أوروبية على أن يكون رئيسها منتخبا.

٢- إقامة برلمان اتحادي أوروبي، على أن يتشكل من مجلسين، أحدهما للنواب وأخر للشيوخ.

٣- دستور اتحادي أوروبي.

كما أتوقع أن يزداد عدد الدول الأعضاء، نتيجة انضمام عدد كبير من الدول الأوروبية الشرقية، وهذا في اعتقادي سيخلق مشكلتين: الأولى بخصوص من الذي يحكم أوروبا؟ وأعتقد أن الحل النهائي لها سيكون حكومة فيدرالية من عشرة أشخاص لهم رئيس منتخب. أما المشكلة الثانية فهي أزمة

اقتصادية طاحنة، وزيادة مرعبة في نسبة البطالة، مع تفاقم النزعـات العرقيـة والعنصرية، مما يهدد بحروب داخلية تعيد للأذهان ما حدث في بدايـة القـرن العشرين. وعندئذ سيبرز الاحتياج الماس لرجل يكون من القوة والحنكة حتـى يسيطر على هذا الوضع المتأزم، وينقذ أوروبا مـن الانـهيار وضيـاع كـل المجهودات التي بُذلت على مدار خمسين عام في سبيل الوحدة. وستتجه كـل الأبصار عندئذ لرجل سيكون قد سبق وحقق نجاحاً كبـيراً فـي حـل بعـض المشاكل الاقتصادية، ولذلك ستنعقد عليه آمال شعوب القارة الأوروبية، لينقذهـا اقتصادياً وأيضاً سياسياً. وفي بداية ظهوره سيقاومه سريعا ثلاثة من العشـرة المسئولين، إلا أنه سيسحقهم وينفرد هـو بالسـلطة المطلقـة، ولا نسـتبعد أن يتعرض لمحاولة اغتيال وينجو منها ليعود أكثر شراسة من الأول. هـذا هـو الوحش وهذا هو الختم الأول (رؤيا٦: ١،٢).

٢- **العولمة السياسية:** ستمضي في طريقها بقوة، وستؤدي إلى المزيـد من التهميش لسلطة الدولة، تلك السلطة المرتبة من الله، ممـا سـيؤدي إلـى ضياع هيبتها وعدم قدرتها على السيطرة على الأحـوال الداخليـة لشـعبها، وبالتالي ستتفاقم الصراعات الإثنية والطائفيه وتنتشر الحروب الأهلية، فيُـنزع السلام من الأرض، ويقتل الناس بعضهم بعض وهـذا هـو الختـم الثـاني (رؤيا٦: ٣،٤).

٣- **العولمة الاقتصادية:** ستتقدم من نجاح لنجاح، فسـت لغى الجمـارك من كل الدول، وتفتح جميع الدول أبوابها للتجارة الحـرة تمامـا، والتـي لا يحكمها سوى منطق السوق، وبالتالي سـتمضي العولمـة الاقتصاديـة فـي طريقها لتسحق الطبقة الوسطى بأحذيتها الغليظة وتلقي بها لقاع المجتمع، فـي

الوقت الذي ستحقق فيه الطبقة العليا في المجتمع أرباحاً مذهلة، وسينتج عن هذا رفاهية مطلقة لقلة قليلة جداً، ومجاعات مرعبة للغالبية العظمى لسكان الأرض. وهذا هو الختم الثالث (رؤيا٦: ٥،٦)

٤- **المرض والموت:** أمراض جديدة لم يسمع عنها البشر من قبل ستظهر في الأرض، وستتفاقم الموجودة حالياً، ومسببات جديدة للأمراض بخلاف المعروف حالياً ستُكتشف، مثل تلك التي سببت جنون البقر، والذي يملأ حاليا أوروبا، بل والعالم أجمع، بالذعر والهلع. وسيزداد السرطان انتشاراً بسبب التلوث البيئي، كهذا الحادث الآن في أوروبا بسبب حرب البلقان، والتي استخدمت فيها قذائف اليورانيوم المستعمل. وبسبب الفقر والجوع والحرب والانحلال الخلقي، ستنتشر بشدة كل الأمراض الفتاكة، والتي ظن العالم أنه قد نجح في السيطرة عليها. وهذا هو الختم الرابع (رؤيا٦: ٧،٨).

٥- **الزلازل:** بعد انتشار المجاعات والأوبئة ستتفاقم تعاسة الأرض بكارثة الزلازل والتي سيتسارع معدل حدوثها كما سيزداد انتشارها.

كل هذا ولن يكون قد مر على اختطاف الكنيسة سوى ثلاث سنوات ونصف، وقد أطلق المسيح على كل هذه الفترة «مبتدأ الأوجاع» (متى٢٤: ٨).

٦- **العولمة الثقافية:** نتيجة للمشاكل التي بلا حل، مع انتشار الخواء الروحي، سيبحث الناس عن حل معجزي، وسيصدقون أي ناعق حتى ولو أتى من قاع الجحيم؛ وهذا سيعطي الفرصة للشيطان ليبرز رجله الثاني، ألا وهو النبي الكذاب، والذي سيصنع آيات عظيمة ويضل بها الساكنين على الأرض. وكنتيجة لكفاءة وسائل الإعلام المذهلة، سينجح في توحيد الرأي

العام العالمي وراءه، ولن يقف عقبة أمامه إلا البقية القليلة التي ستعرف الرب في تلك الأيام، والتي سترفض أكاذيبه وتفضح ضلاله، ولذا فهو سيحاربهم ويقتلهم. وهذا هو الختم الخامس (رؤيا٦: ٩،١٠،١١).

٧-**الانهيار السياسي والاقتصادي:** سيصل العالم بعد هذا كله إلى مرحلة الانهيار السياسي الشامل والفوضى الاقتصادية الشاملة، وعندئذ ستتجه الأبصار نحو أوروبا وزعيمها السياسي والاقتصادي الكبير، والذي نجح في حل مشاكل أوروبا، ويأملون أن ينجح في إنقاذ العالم من الفوضى والانهيار الشامل. وسيقبل هو هذه المهمة، بشرط أن تخضع كل الدول للنظام الذي سيضعه، وهكذا سينجح في أن يُحكم سيطرته على كل الأرض، وبهذا تدخل الأرض فترة الضيقة العظيمة التي تكلم عنها المسيح في متى ٢١:٢٤، والتي ستستمر لمدة ثلاث سنين ونصف أخرى. وهذا هو الختم السادس (رؤيا٦: ١٢-١٥)

٨- **الانهيار الأخلاقي:** تتميز فترة الضيقة العظيمة في بدايتها بسقوط الشيطان من السماء، فينزل إلى الأرض وبه غضب عظيم (رؤيا١٢ : ٧-١٢)، لذا ستشهد هذه الفترة أسود أيام من جهة الانحلال الخلقي والأدبي. وسيستخدم الناس كل ما وصلوا إليه من علم وتكنولوجيا ليخترعوا مزيداً من الشرور، ولا سيما في مجال الشرور الجنسية، وإساءة استعمال الهندسة الوراثية، وأيضاً في السحر وعبادة الشيطان، وانتشار المخدرات بشكل مخيف، وازدياد مرعب في معدل جرائم القتل. لهذا كله ستكون هي الفترة التي فيها سينصب غضب الله على البشر لاكتمال مكيال شرهم.

٩- **هرمجدون:** في نهاية هذه الفترة السوداء من تاريخ البشرية ستعود للظهور ظاهرة كان العالم قد ظن أنها انتهت، ألا وهي وجود أكثر من قوى عظمى على الساحة العالمية، واحتدام الصراع بينهما على من يفوز بالهيمنة

على العالم؛ وهاتين القوتين هما الكتلة الغربية وعلى رأسها أوروبا الموحدة، ثم الكتلة الشرقية وعلى رأسها الصين. وهكذا يتهيأ العالم لأضخم موقعة حربية عرفها التاريخ، من حيث عدد الدول المشاركة فيها، وعدد القوات المجتمعة للحرب، وكمية الأسلحة وأنواعها، وأيضاً من حيث نهايتها حيث أن كل المشاركين فيها سيبادون تماماً. هذه هي موقعة هرمجدون (رؤ١٦:١٦).

هذه هي باختصار ملامح المستقبل القريب للبشر*.

وحتما، عزيزي القارئ، لن يخرج مستقبلك عن أحد هذين الإطارين، إما أن تبقى في الأرض أو أن تختطف إلى السماء وتنجو من الغضب الآتي.

## فما هو قرارك؟

تأكد أنه قرارك وحدك، لن يستطيع أحد أن يأخذه نيابة عنك، ولن تستطع أنت أمام الله أن تلقي باللوم على أحد، ستكون أمامه بلا عذر.

أنت الذي تصنع مستقبلك الآن: إن اعترفت بخطاياك لله طالباً غفرانه واثقاً في دم مسيحه، صار لك نصيب في الاختطاف. أما لكي تبقى على الأرض وتواجه مع سكانها مصيرهم الأسود، فليس مطلوب منك أن تفعل أي شيء، فقط استمر في إهمالك لأمر خلاصك، استمر في وهمك أن الحياة طويلة، استمر في تصديق الأكاذيب أن ليس أحد يعرف المستقبل، استمر في قبول هذه الخدعة أن لا أحد يقرر مصيره من الآن.

---

* إذا أراد القارئ العزيز أن يعرف أكثر عن التفصيلات الدقيقة لمجيء المسيح وما سيحدث على الأرض بعده، فإني أنصح بالرجوع للكتب التي تناولت هذا الموضوع، مثل: ملخص شرح سفر الرؤيا - يوسف رياض، خطوة خطوة نحو نهاية العالم - إبراهيم صبري، قريب على الأبواب - ناشد حنا، وغيرها، من منشورات مكتبة الإخوة.

«فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا، متغاضياً عن أزمنة الجهل، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عيّنه مقدّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات» (أعمال١٧: ٣٠،٣١).

وحتى إذا كنت لا تعبأ بمستقبلك الأبدي، فماذا عن حاضرك؟ هل تجد راحة أو سروراً أو سلاماً في عالم الشر والبغضة الذي تعيش فيه؟ هل تظل متمسكاً بعالم لا تجد فيه محب، ولا صديق، ولا قريب تلجأ إليه يوم ضيقك وحيرتك وتعبك؛ بينما المسيح بكل حبه يفتح قلبه وذراعيه لك. إني أدعوك، مهما كانت ظروفك ومتاعبك وحيرتك، بل وحتى شرورك، أن تأتي وتتذوق معي هناءً وسلاماً، وتكتشف معي هذا المحب العظيم الحي والقريب منك، والذي يدعوك لتقبله رباً ومخلصاً.

**هذا الكتاب** عظيم في نفعه، إذ قد تناول فيه الكاتب أحبّ وأقرب الموضوعات إلى قلب المؤمن، وهو قرب مجيء الرب له المجد. ولكنه أحسن حين لم يتحدث عن علامات قرب المجيء المشهورة، التي سبق أن كتب عنها كثيرون، بل انتقى بعض الأحداث العالمية والحقائق التاريخية التي لم ينتبه إليها كثيرون من المؤمنين ولم يدركوا قيمتها أو خطورتها، وقدّم لنا في هذا الكتاب معناها ومغزاها، وأظهر أنها تحقيق لنبوات قديمة في الكلمة المقدسة وإعلان لقرب مجيء الرب.

والكاتب عوّدنا أنه حين يتناول موضوعاً معقداً فهو يحلّله ويبسّطه ويقدّمه لنا سهلاً؛ وحين يتأمل الأحداث العالمية فهو يكشف ما وراءها وما يحركها، وحين يدرس كلمة الله المقدسة فهو يفصّلها بالاستقامة ويُخرج منها ما خفي علينا من كنوز وعظمة. وهو لا يفسّر كلمة الله في ضوء الأحداث، لكن يفهم الأحداث في نور كلمة الله الصادقة.

أصلّي أن كل من يقرأ هذا الكتاب يزداد إيماناً بصدق الكلمات المكتوبة، وسجوداً للكلمة المتجسد، وشوقاً لمجيء العريس.

**د. مفيد إبراهيم سعيد**

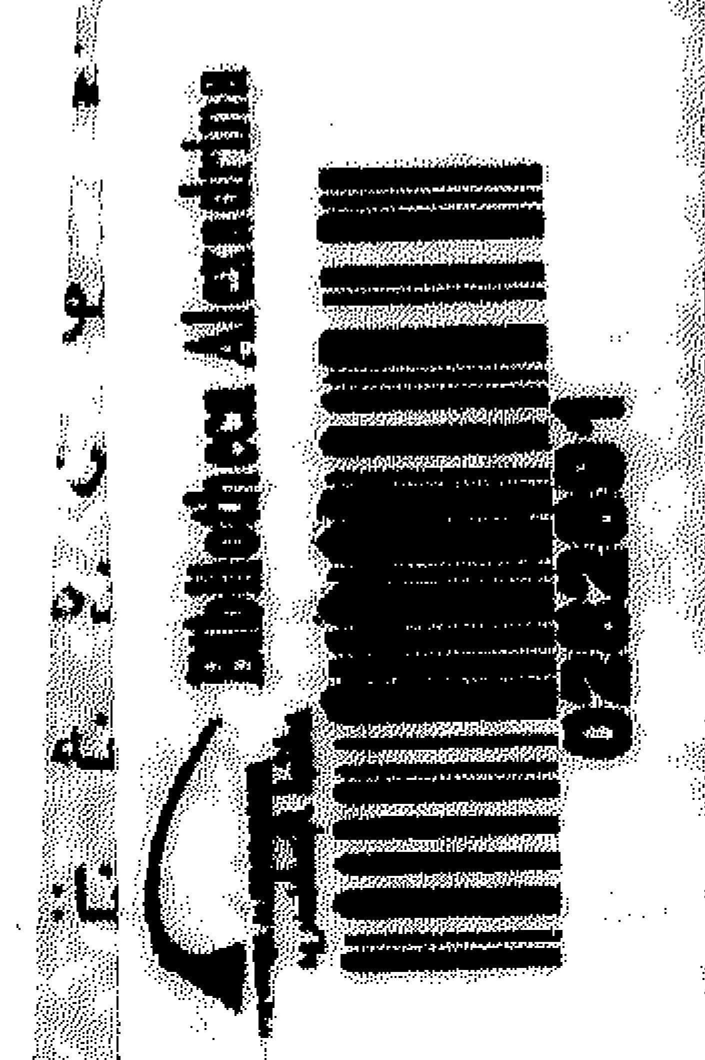
**هذا الكتاب** قيّم ومشوّق. خططت أن أقرأ مسودته في أيام كثيرة، فإذا بي آتي عليه كله في جلستين.

إن الكاتب هنا لا ينغلق على نفسه وكتابه فحسب، لكنه يواكب أحداث عصره، ويراقب متغيراته بعينين مفتوحتين، وذهن ناضج متفتح؛ لكن الفكر منضبط والعين مثبتة على هدف لا يغيب.

والكتاب يسير بك في دروب ممتعة متشعبة من التاريخ والسياسة والعلم، لكن الغاية في نهاية الأمر إعلاء شأن هذا الكتاب العظيم، كتاب الله، وإبراز صحته وعظمته وعبقريته، ثم أن الهدف أيضاً هو رصد قرب مجيء المسيح. إنه يهتف مع العروس «صوت حبيبي هوذا آت».

ما أحوج مكتبتنا إلى هذا النوع من الكتابات التي تحوي فكراً معاصراً راقياً.

...ومع أن كُتباً كثيرة كُتِبت في هذا الموضوع، لكن هذا الكتاب ليس
منقول عن آخرين، بل قد جاء نتيجة فحص جاد، واستقصاء صبور. والأخ
وهو «كاتب متعلم في ملكوت السماوات .. يخرج من كنزه (دائما) جُدداً وعت
المرة شرحاً كتابياً، ولا كتاباً تأملياً تعبدياً، بل إني أعتبره كتاباً للمفكرين.
نظر إلى كل ما يحدث حولنا، من منظور دارس للكتاب المقدس، فرأى أن الأحدا
استعدوا! ها هو قادم.




**يوسف رياض** (من تقديم الكتاب)